
روائع القصص العالمية
عشرون ألف فرسخ
تحت الماء
جول فيرن
أكاديميا

روائع القصص العالمية

عشرون ألف فرسخ تحت الماء

إعداد

نورما نابلسي



عشرون ألف فرسخ تحت الماء

ISBN: 978-9953-37-911-1

Original title «20,000 LEAGUES UNDER THE SEA»

الناشر

أكاديميا إنترناشيونال
فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 1103 2140 لبنان

Academia International
Verdun,Rashid Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

E-mail academia@dm.net.lb بريد إلكتروني
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

المحتويات

شَعَبٌ متنقِّلة

في العام 1866، وقعتْ في عُرْضِ البحار، حادِثةٌ أثارتِ العديدَ من التّساؤلات. لكنّها كانت عَصيَّةً على التّفسير، وأحاطَ بها الكثيرُ مِنَ الغُموض، حتّى إنّها باتَتْ على كلِّ شَفَةٍ ولِسان، وطُرِحَتْ على بساطِ البَحْث بين رُوّادِ البحار، لا بل حَيَّرتِ القاصي والدّاني في أرجاءِ المَعْمورة!
منذُ زمنٍ بعيد، كانت كلّما توغَّلَتِ السُّفنُ في غِمار البحارِ العميقَة، تصادِفُ «كائنًا ضَخْمًا»، طويلَ الهيكلِ، يستحيلُ فسفوريَّ اللونِ أحيانًا، ويحاكي المِغْزَل في شَكْلِه، إنما يفوقُهُ ضَخامَةً بأَشْواط.

وممّا لا يَرْقى إليه شَكٌّ، أنّ هذا الكائِنَ، إنْ كانَ من الثَّدييات، فإنّه كان يتَخَطّى من حيث الحَجْم كلَّ تلكَ الحيواناتِ الثَّديية البحريَّة التي صُنِّفَتْ عِلْميًا حتى الآن. واستِنادًا إلى المُلاحَظات التي أَدْلى بها الغوّاصونَ في هذا الشأن، فإنّ طولَ هذا الحيوان الثَّديي أو هذا الكائن يقدَّرُ بحوالي 200 قدم!

في 20 تموز/يوليو 1866، كانَت الباخرة غوفرنور هيغنسون قد لَمَحتْ هذا الكائِنَ على بُعْدِ خمسةِ أميالٍ فقط من السّاحِل الشَّرقي لأستراليا. في البداية، ظنَّ قُبطانُ السَّفينةِ أنّ ما أبْصَروه كان مجرَّدَ كُومَةٍ من الرِّمال، فأَصْدرَ أَمْرًا بتَغْييرِ وُجْهةِ السَّفينة، لكن ما لَبِثَ الكائِنُ



الغامِضُ أن قذفَ نافورتين من المياه، إلى ارتفاعِ خمسين قدمًا في الهواء. كان القبطانُ مقتنعًا بأنّ نافورتي المياه التي خالَطهما الهواءُ والبُخار، قد أطلَقَتْهما إحدى الثَّدييات التي لا تزالُ غير مَعْروفةٍ حتى السّاعة.

وبعد ثلاثةِ أيام، لاحَ الوَحْشُ الغامِضُ نفسهُ في المُحيطِ الهادِئ، أي على بُعدِ أكثرَ من ألفين ومِئةِ ميلٍ من المنطقةِ التي شُوهِدَ فيها في المرّةِ السّابقة. الأمرُ الذي أثارَ العَجَب – لأنّ هذا الكائنَ المُدْهِش كان يَنْهَبُ البَحْر نَهْبًا! وبعد أسبوع، بانَ على بُعْدِ ستينَ ألفِ ميلٍ من المُحيطِ الأطلسي، بيد أنّ هُويَّةَ هذا المَخْلوق لا تزالُ طيّ الخَفاء.

ولكنْ في العام 1867، تحوّلَ هذا الكائنُ، أو الحيوان الثَّدْيي، من اكْتِشافٍ علميٍّ إلى خَطَرٍ داهِمٍ ومَدْعاةٍ للقلق. إذ بدأَ هذا الوَحْش ينقضُّ على البواخِرِ ويُهاجِمُ السُّفُنَ التجاريَّة.





وبعد أن نـالَتْ سفينةُ سكوتيا نصيبَها من الهُجوم في عُرْضِ البحار، أُخْضِعَتْ لبعضِ الفُحوصات، فتفاجَأ المهندِسُ المُخْتصّ عندما اكتشفَ أنّ مثلّثًا كبيرًا قد اخترقَ هيكلَ السفينةِ الصُّلْب. أثار هذا الحادِثُ التّساؤلات. ومُذّاك، بدأ يُنْحَى باللائِمَة على ذلك الوحْشِ البَحْريّ في أعْقابِ كلّ حادِثٍ مَشْؤوم تتعرَّضُ لهُ السُّفن، سواء توارَتْ عنِ النَّظَر في عُرْضِ البِحار، أو تحطَّمَتْ أَشْلاءً أو غرِقَتْ في قَعْرِ الماء. عند ذلك الحين فقط، بدأَ النـاسُ يطالِبون بإزالةِ هذا التَّهديد المُتَربِّصِ بهم الذي كان يلوحُ في الأُفُق.

خلالَ هذا الوقْت، كنتُ قد عُدْتُ لتوّي من رِحْلَةٍ علميَّةٍ لإنجازِ بعضِ البُحوث. في الحقيقةِ، أنا أستاذٌ مساعِدٌ في مُتحَفِ التاريخِ الطَّبيعيّ في باريس. وكنتُ قد وَصَلتُ إلى نيويورك في آذار/مارس، بعد أن أَوْقفتُ ستة أشهُرٍ من حياتي على الأَبْحاث. وكان مقرَّرًا أن أُقفِلَ عائِدًا إلى فرنسا في الغَد.

وفي حين كنتُ لا أزالُ أعملُ على بَحْثي، طرَقَتْ مسامِعي كلُّ تلكَ القِصَصِ التي تردَّدَتْ أَصْداؤُها حِيالَ هذا الكائِنِ الغامِض. وعندما عُدْتُ أَدْراجي إلى نيويورك، كانَتِ الآراءُ حولَ



ماهيَّةِ هذا اللُّغزِ تتَضارَبُ بين احتمالَيْن اثنين: فإما أن يكونَ هذا الكائنُ وَحْشًا ضخمًا طويلاً أو أنّه غوّاصةٌ جبَّارَة. بيدَ أنَّ العديدَ قد استبعَدَ الفَرَضيَّةَ الثانية.

كَوْني أُستاذًا في التاريخِ الطَّبيعيّ، وأيضًا مؤلفًا لكتابِ «ألْغازِ الغوّاصةِ العُظمَى»، سُئِلْتُ أنا بيير أروناكس، عن رأيي حولَ هذا المَوْضوع. ووفقًا للأوصافِ التي كان قد أفادَ بها مُختلفُ القادةِ، خَلَصْتُ إلى أنّه كانَ حوتًا مُرَقَّطًا، وهو نَوْعٌ من الحيتان التي يمكِنُ أن تَنْمو كثيرًا وقد يصِلُ حَجْمُها في بعضِ الأحيانِ إلى ستّين قدَمًا. ولعلَّ الحوتَ المرقَّط قد شَطَّ عن طولِهِ الطَّبيعي، ولكن ما لا أَسْتَطيعُ تَقَبُّلَه عِلْميًا أن يكونَ لهذا الحوت المرقَّطِ نابًا يفوقُ الفولاذَ قوةً!

في النهاية، شَرَعَتْ حكومَةُ الولاياتِ المتَّحدة في إرسالِ حَمْلَةٍ عَسْكريَّة تهدُفُ إلى تَخْليصِ البحار من بَراثِنِ هذا الوَحْش الفتّاك. فأَعدّتْ لهذا الغرَض سفينَةً حربيَّةً بقيادَةِ القائدِ فَرّاغوتْ، هي فرقاطَةُ أبراهام لنكولن، وحمّلَتْها بجميعِ الأسلِحَةِ التي عَرَفَتْها البَشَرية. ثم، لِدَهْشتي الكَبيرة، طُلِبَ مني الانضِمامَ إلى هذه الحَمْلة. غَلَبني الفُضولُ وحَثّني على القُبول، فصَعِدْتُ على مَتْنِ أبراهام لنكولن بِرِفْقَةِ خادِمي الوَفيّ كونسيل.

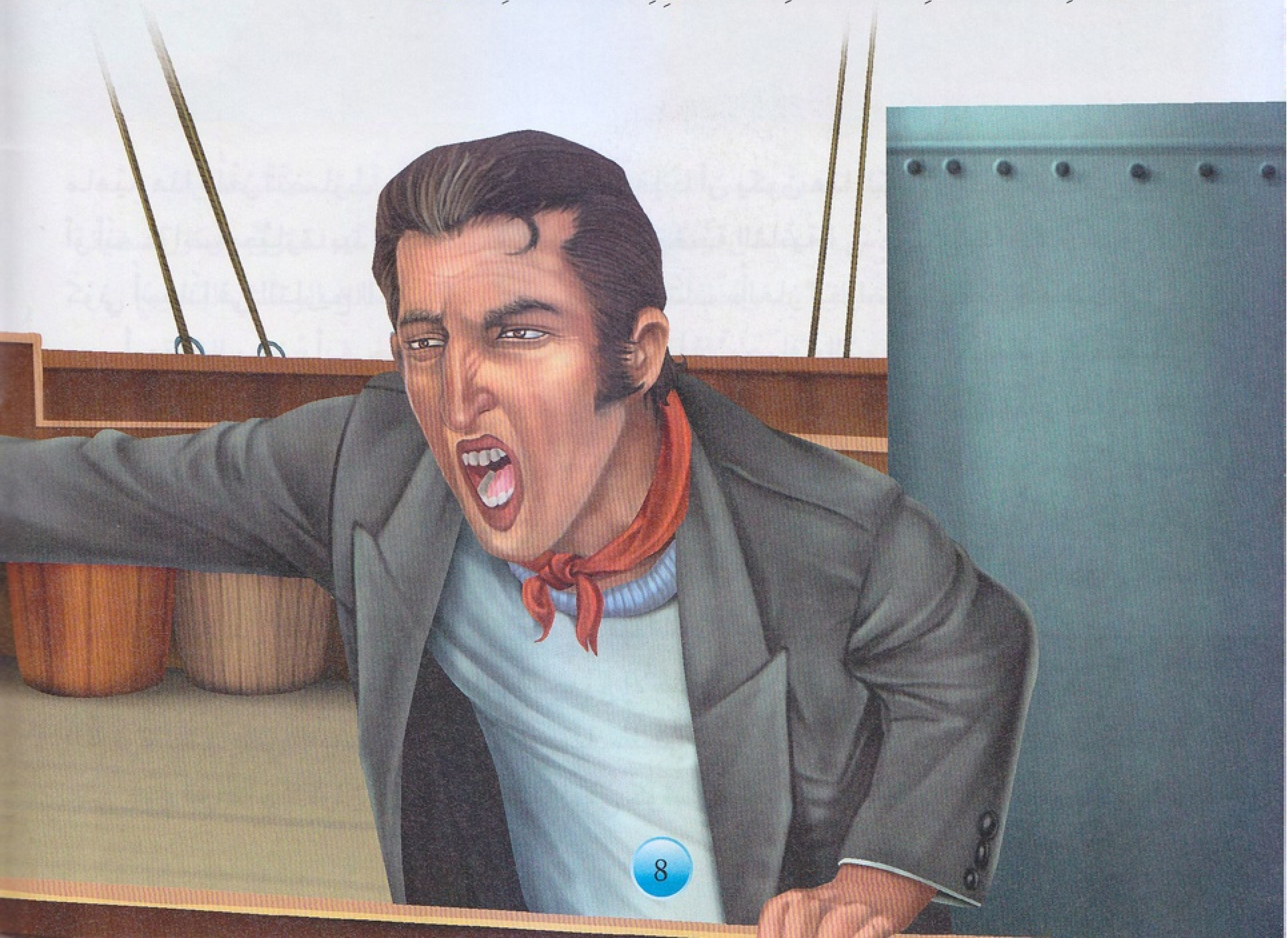
نيد لاند

استهلّت فرقاطةُ أبراهام لنكولن حَمْلَتَها وَسْطَ هَرْجٍ ومَرْج. وكان فَرَّاغوتْ قائدًا ممتازًا يُجيدُ الإمساكَ بِزمامِ الأُمور. وكان جازمًا من أنّ الوَحْشَ موجودٌ وأنّه سوف يَقْضي عليه. وكان فريقُهُ يشاطِرُهُ الرأيَ نفسَه. وعلى الرُّغمِ من أنّ أبراهام لنكولن كانت مُدَجَّجة بأفْضَلِ أنواعِ الأَسْلِحة، فإنَّ «نيد لانْد»، أمْهَر صائِدي الحيتان من كندا، كان هو أيضًا مَدْعُوًّا على مَتْنِها. نيد لاند كان يمتلِكُ المهارَةَ ورباطَةَ الجَأْش، والجُرأةَ والمَكْر، وهي كلّها صفاتٌ تستلزِمُها رِحْلاتُ الصَّيْد. في غضونِ ثلاثَةِ أسابيع من انطلاقنا في المُهِمّة، توثّقَتْ عُرَى الصَّداقَةِ في ما بيننا. إلا أنّني كنتُ أختلِفُ في الرَّأْي مع نيد لاند حولَ ماهِيَّة هذا الوَحْش.

فقلتُ له ذاتَ يوم: «نيد، أنتَ مُعْتادٌ على الثديياتِ الكَبيرَةِ في البِحار».

«أجلْ، أنا صائِدُ حيتان، وقد طارَدْتُ وقَتَلْتُ الكَثيرَ منها، ولكن لا يمكِنُها تدميرُ الهَيْكلِ الحَديديّ لِسَفينةٍ، مَهْما بلَغَتْ قُوَّتُها»، أجابَني قائِلاً.

«يا صَديقي العَزيز،» اسْتأنَفْتُ قائِلاً، «إنْ كان هذا المَخْلوق يعيشُ في أَعْماقِ المُحيط، فلا بدّ أنّه يَمْتلِكُ عِظامًا قوية تخوّلُهُ تحمُّلَ ضَغْطِ المياهِ الهائِل. وإن رَجُلاً مثلَك، على سبيلِ المِثال، سوفَ ينسَحِقُ تحتَ قوَّةِ هذا الضَّغْطِ بعدَ عبورِهِ مسافَةَ ستَّةِ أمْيال.»



«في هذه الحالَة،» قالَ نيد لاند، «يكونُ المخلوقُ مَصْنوعًا من لَوْحاتٍ حَديديةٍ بسماكَةِ ثماني بوصات! ولكنَّ مَخْلوقاً كهذا... لا وجودَ له، أيُّها البروفسور أروناكس».

وهكذا، على الرُّغْمِ من الحُجَجِ التي تقدَّمْتُ بها، ظلَّ نيد مُتشبِّثًا برَأْيه. في هذه الأَثْناء، كانَتِ الرِّحلَةُ على سَفينَةِ أَبراهام لنكولن مُسْتمِرّةً على قدم وساق. وما كِدْنا ندخلُ المحيطَ الهادِئَ على مشارِفِ أمريكا الجَنوبيَّة، حتّى هبَّ البحّارَةُ يَمْسحونَ سَطْحَ المُحيطِ بالتلسْكوبات بَحْثًا عنِ الوَحْش. وكنتُ أنا وكونسيل من بَيْنِهم. وحدَهُ نيد لاند ظَلّ بعيدًا. تَجوَّلْنا في شَمالِ المحيطِ الهادِئ طوالَ ثلاثَةِ أَشْهُر، بينَ سواحِلِ اليابان وأمريكا الشَّماليَّة من دونِ أن يُحالِفَنا الحَظُّ!

كان البحّارَةُ قَد بدؤوا يَشْعرونَ بالإحْباط وأرادوا العودَةَ إلى ديارِهم. ولكن القائدَ فَرّاغوتْ تمكنَّ من إقناعِ طاقَمِهِ بالاعْتِصام بالصَّبْرِ ثلاثَةَ أيامٍ أُخَر. ووعَدَهم بأنّه في حالِ ظلَّ الوَحْشُ مُتواريًا، بعد انقِضاءِ تلكَ الفَتْرة، فإنّه سوفَ يُحَوِّلُ الدَّفَّةَ باتِّجاهِ الدّيار. إذاك، اسْتعادوا حماسَهُم وانْكبّوا على المُحيطِ يراقِبونَهُ باهْتِمامٍ مُتَجدّد. انقضَتِ الأيامُ الثلاثةُ، والوحْشُ لم يَظْهر، فَوفَى القائدُ بوَعْدِه. كان الخامِسُ من تشرين الثاني/نوفمبر. وكنّا على بعدِ مئتي ميلٍ من سَواحِلِ اليابان. وبينما كنتُ أنا وكونسيل على سَطْحِ السَّفينة، سَمِعْنا نيد لاند يَصيحُ فجأةً قائلاً: «انظروا! ها هو!»



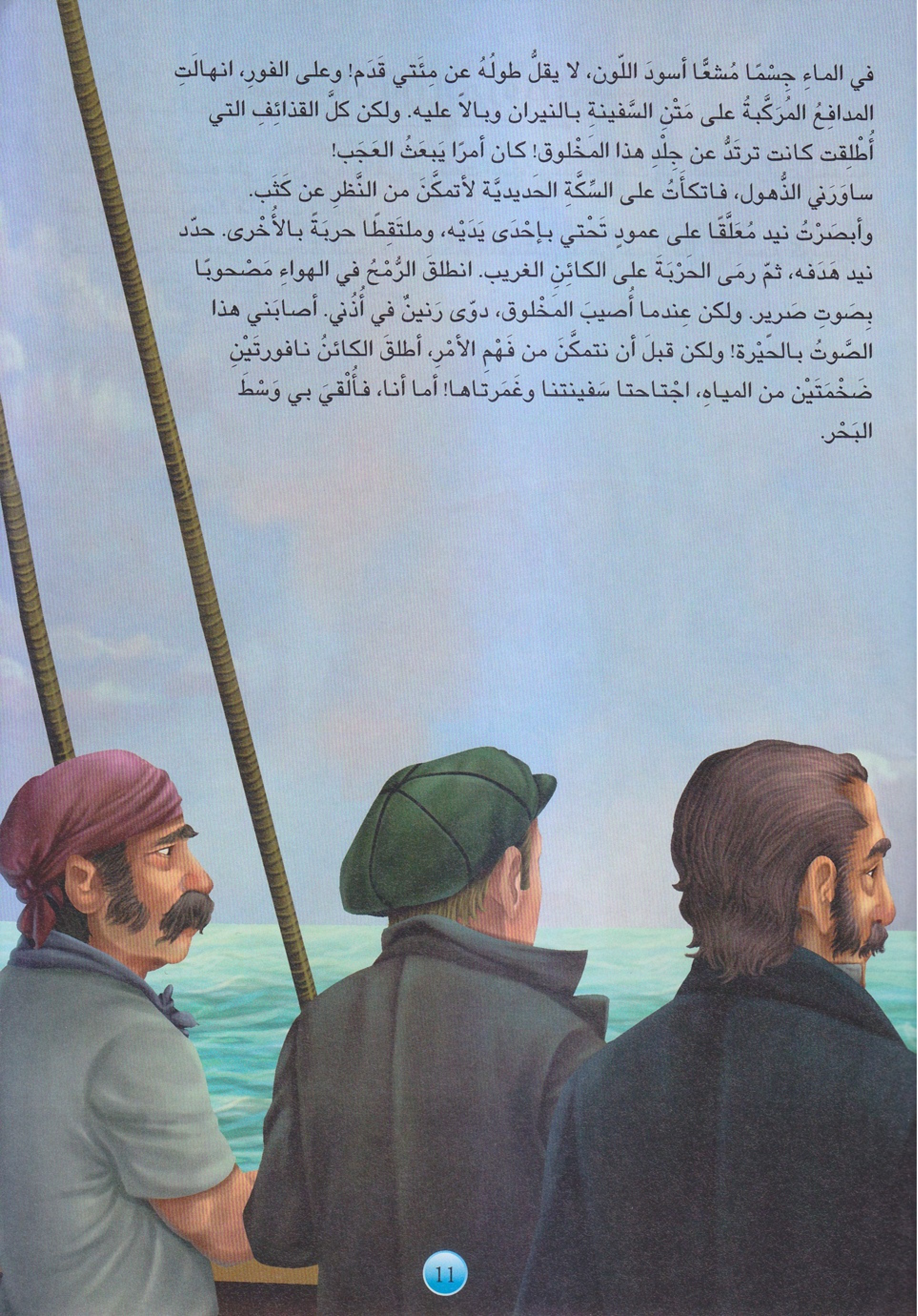
قوّةٌ خارِقَة

على الفَوْر، سارَعَ طاقَمُ السَّفينةِ وقائِدُها نحوَ الرِّماح. كان الوَقْتُ في أواخِرِ المَساء. وعندما نَظَرتُ في الاتّجاهِ الذي كان نيد يُشيرُ إليه، أبْصَرْتُ المَخْلوقَ المُريبَ يَتوهَّجُ بَريقًا، ممّا أثارَ دَهْشَتي وآلمَ عينيَّ. تساءَلْتُ عمّا إذا كان هذا الكائِنُ مَشْحونًا بالكَهْرباءِ كثُعبانِ البَحْرِ الكَهْربائيّ! كان على بُعدِ أربعمئَةِ يارِدةٍ من السَّفينة. «انظروا، إنّه قادِمٌ نحوَنا مباشَرَة»! صَرَخْتُ مُحَذِّرًا.

وإذا بأفرادِ الطّاقَمِ يُطلِقونَ صَرْخَةً واحِدَة. إذّاك، تأهَّبَ البَحّارةُ لإطْلاقِ النّارِ بِناءً لأمْرٍ من القُبْطان. في ذلكَ الوَقْت، كان الكائِنُ العجيبُ يتَّجِهُ إلى الجانِبِ الأَيْمن من السَّفينة بسُرْعَةٍ هائِلَة. ولكنه، عندَما أَضْحَى على بُعْدِ عشرينَ قَدَمًا من هيكَلِ السفينة، تَوارى عنِ النَّظَر.

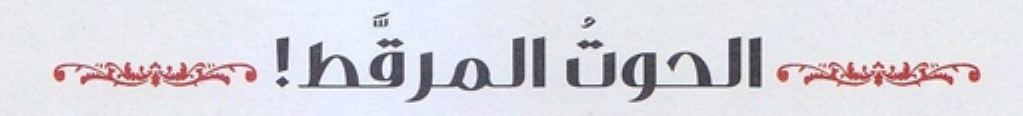
وبعد بضْعِ دقائِقَ، صاحَ نيد مرةً أُخرى قائلاً، «إنّه عند جانِبِ السَّفينةِ الأَيْسر!» عندئذٍ رأينا





في الماءِ جِسْمًا مُشعًّا أسودَ اللّون، لا يقلُّ طولُهُ عن مِئَتي قَدم! وعلى الفور، انهالَتِ المدافعُ المُرَكَّبةُ على مَتْنِ السَّفينةِ بالنيران وبالاً عليه. ولكن كلَّ القذائفِ التي أُطْلِقت كانت ترتَدُّ عن جِلْدِ هذا المَخْلوق! كان أمرًا يَبعَثُ العَجَب!

ساوَرَني الذُّهول، فاتكأْتُ على السِّكَّةِ الحَديديَّة لأتمكَّنَ من النَّظرِ عن كَثَب. وأبصَرْتُ نيد مُعَلَّقًا على عمودٍ تَحْتي بإحْدَى يدَيْه، وملتَقِطًا حربَةً بالأُخْرى. حدّد نيد هَدَفه، ثمّ رمَى الحَرْبَةَ على الكائِنِ الغريب. انطلقَ الرُّمْحُ في الهواءِ مَصْحوبًا بِصَوتِ صَرير. ولكن عِندما أُصيبَ المَخْلوق، دوّى رَنينٌ في أُذُني. أصابَني هذا الصَّوتُ بالحَيْرة! ولكن قبلَ أن نتمكَّنَ من فَهْمِ الأمْر، أطلقَ الكائنُ نافورتَيْنِ ضَخْمَتَيْن من المياهِ، اجْتاحتا سَفينتنا وغَمرَتاها! أما أنا، فأُلْقِيَ بي وَسْطَ البَحْر.



الحوتُ المرقَّط!

أَخَذَني شلاّلُ المياهِ على حينِ غِرَّةٍ وأَلْقى بي تَحْتَ الماء. وعِندما عُدْتُ إلى السَّطْحِ، رأيتُ السَّفينةَ الحربيَّةَ تُبْحِرُ بعيدًا. فأُصِبْتُ بالذُّعْر.

رُحْتُ أصيحُ مُسْتغيثًا: «النَّجدة، النَّجدة!». وفجأةً التقطَتْني يَدٌ من حَديدٍ قبلَ أن أسمَعَ كونسيل يقولُ لي: «لا تُجْهِدْ نفسَكَ هكذا، يا سيّدي».

«هذا أنت؟» قلتُ له.

«أجل»، أجابَني كونسيل؛ «لقد لحِقْتُ بكَ إلى البَحْر.»

إذّاك، أَيْقنتُ وقد تملَّكني الرُّعبُ، بأنَّ الفرقاطةَ كانتْ تُبْحِرُ بَعيدًا، وأنَّ أحدًا لم يتنبَّهْ بعدُ إلى غِيابنا. رُحْنا نصيحُ سويَّةً للسَّفينةِ كي تعودَ إلينا، ولكِنْ من دونِ جَدْوى. سَبَحنا لساعاتٍ عديدةٍ إلى أن خارَتْ قوايَ وتخدَّرَتْ يدايَ ورِجْلايَ. لم يعُدْ باستِطاعَتي التمسّكُ بكونسيل، وبدأْتُ أَغرقُ... ثم، ارتطَمْتُ بجِسْمٍ صُلْبٍ وأُغْمِيَ عليّ. عندَما استعَدْتُ وَعْيي، وجدْتُ نَفْسي خارِجَ الماءِ. وكان كونسيل يجلِسُ إلى جانبي ونيد لاند يقِفُ إلى جانبِه.

«هل أُلْقيَ بِكَ في البَحْرِ أنتَ أيضًا؟»

«نعم، أيها البروفسور، لكنّي تمكَّنْتُ على الفَوْرِ من العُثورِ على مَوْطِئِ قَدَمٍ فوقَ جزيرةٍ عائِمَةٍ أو حوتٍ مرقَّطٍ عِمْلاق، مَصْنوعٍ مِنَ الحَديد».

جلَسْتُ ورُحْتُ أُجيلُ بنَظَري من حولي. كان نِصْفُ هذا المخلوق مُخبَّأً في الماء. وكان سَطْحُهُ من الحَديدِ المَصْقولِ والبارد. وما باتَ جليًّا الآن أنَّ هذا المخلوق لم يكُنْ من الثَّدييات، على الإِطْلاق! إنّما غوّاصَةٌ بُنِيَتْ على شَكْلِ حوت!

إذّاك ، انفتَحَت صَفيحَةُ الحديدِ في الغوَّاصَة وخرجَ مِنْها رَجُلانِ يَرْتديانِ مِعْطَفَيْنِ من جِلْدِ القُضاعَةِ وأحذيَةً من جِلْدِ الفُقْمات. وكان أحدُ الرَّجُلَيْن طويلَ القامَةِ، وذا نظرَةٍ ثاقِبَةٍ وشخصيَّةٍ هادِئَة. أغلبُ الظَنِّ أنّه كانَ القُبْطان. عِندما رآنا، هَمَس ببِضْعَةِ كَلِماتٍ بلَهْجَةٍ غَريبَةٍ إلى رَفيقِه.

تقدَّمْتُ إلى الأمام، آملًا أن يفهمَ لُغتي، وشرَحْتُ له مَنْ نكونُ وكيفَ أصبَحْنا على سَطْحِ الغوّاصَة.

ولكن، على الرُّغْم من إصْغائِه إليّ باهتمام، إلا أنّه لم يُبْدِ أيَّ علامةٍ تدلُّ على فَهْمِه لما قُلْته.
«حسنًا، نيد،» تَوجّهتُ إلى الرّمّاح قائلاً. «حاوِلْ أن تكلِّمَهُ باللُّغةِ الإنكليزيَّة علَّهُ يُجيدُها».
وهكذا كَرّر نيد كلّ ما قلتُهُ باللُّغةِ الإنكليزية، ثم تَبِعه كونسيل بالألْمانيَّة، ولكن من دونِ جَدْوى. وفي النِّهايَة، شرَحْتُ له الأمْرَ باللاّتينية، ولكن عبثًا فعَلْت.
إذّاك، انْحَنَى القُبْطان ونادَى نحو أَسْفلِ الفُتْحَة. وعلى الفَوْر، حَضرَ ثَمانيةٌ من أَفْرادِ الطَّاقم إلى المِنصَّة. فدَفَعوا بِنا إلى أَسْفَلِ المِزْلاج، واقْتادُونا إلى مَكانٍ يَسُودُه ظَلامٌ دامِسٌ في أَسْفَلِ السُّلَّم، ومن ثَمَّ دفعوا بِنا نحوَ رَدْهَة ، أَفْضَتْ بنا إلى داخِلِ غُرْفَةٍ مُظْلِمَة، ثمّ أَوْصَدوا الباب. عِندما تَلَمَّسْنا المَكان، شَعَرْنا بأنّ جُدرانًا حديديَّةً خاليةً من النّوافذِ كانَتْ تُحيطُ بنا، وأنَّ الغُرْفَة كانَتْ تَضُمُّ طاوِلَةً خَشَبيةً وأربَعَةَ كراسيّ.
«يا لَهُ مِنْ عار!» صاحَ نيد لاند، وقدِ اسْتَشاطَ غَضَبًا. «لقد أَطْلعناهُم على مُعاناتِنا بأربعِ لُغات، لكِنّهم احْتَجَزونا!»



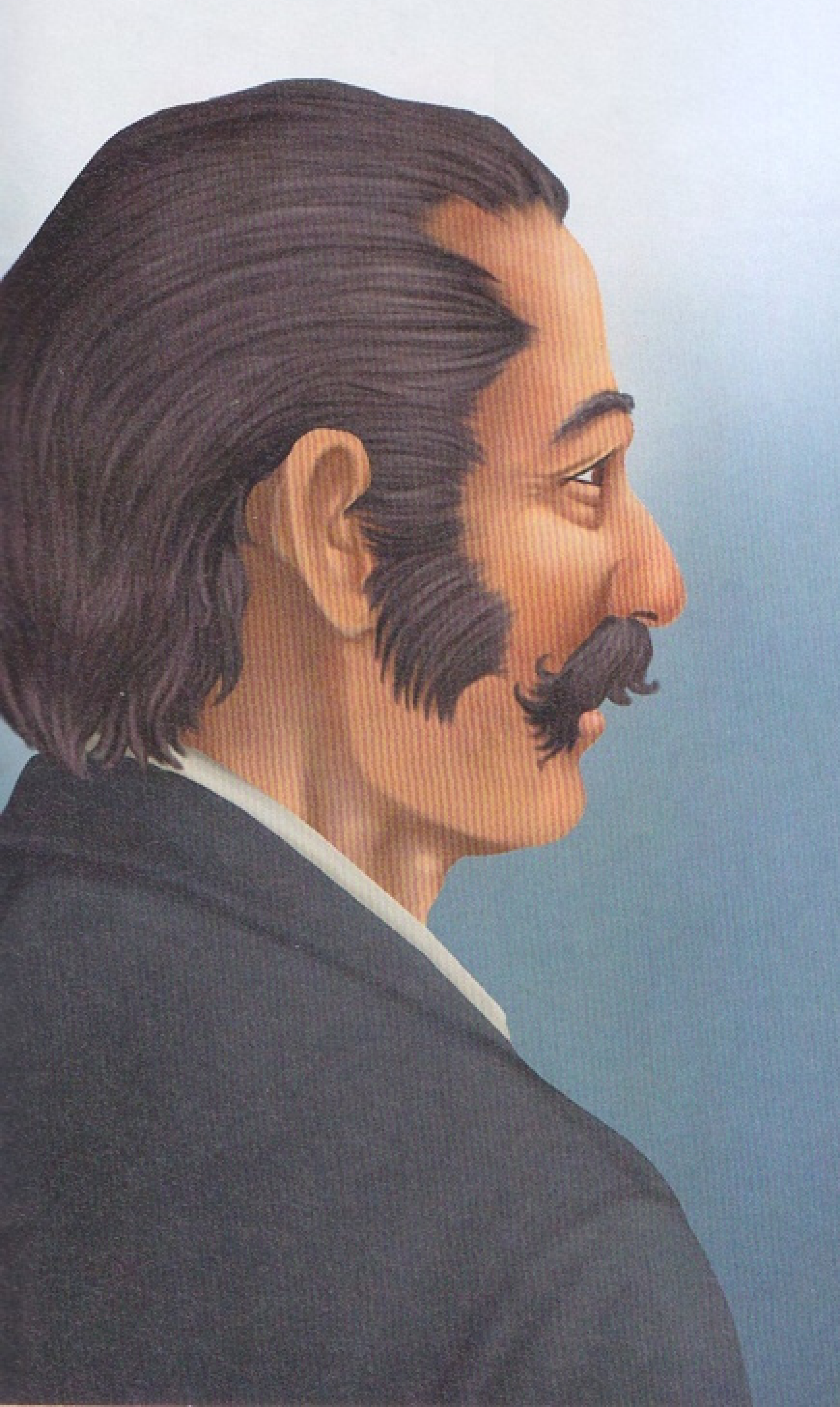
«هدِّئ من رَوْعِك،» قلتُ له، «إنَّ الغضبَ لن يُجْديكَ نَفْعًا».
وفجأةً، أُنيرتِ الغرفةُ وفُتحَ البابُ ودلَفَ إلى الغُرْفَةِ مُضيفٌ أعْطانا ملابسَ جديدةً. بعدَ أن ارْتَدَيْنا الثياب، وَضعَ الطَّعامَ على الطّاولَةِ وغادرَ الغُرْفَة. كان الطَّعامُ لذيذًا معَ أنَّني لستُ أملكُ أدْنى فكرةٍ عمّا كنتُ قد تناوَلْتُه. لكنّني لاحَظْتُ حرفَ N كبيرًا منقوشًا على كلِّ إناء. بعد أن أنْهينا وَجْبَتَنا، ارتَمَيْنا على سَجّادَةٍ كانَتْ تَكْسو الأَرْض. كنّا مُنْهَكي القُوى، فأَخْلَدنا إلى النوم، وسَرعانَ ما غَطَطْنا في سُباتٍ عَميق. ثمّ أيقظَنا صوتُ هَسْهَسَةٍ مردُّهُ الهواءُ النقيُّ الذي كان يتسلَّلُ داخِلَ الغرفَة. انتظَرْنا أن يأتي المُضيف، ولكنَّهُ لم يَظْهَر. في تلك الأثناء، كان الغضبُ قد اسْتأْثَرَ بنيد لاند واسْتَبدَّ به، فراحَ يلطِمُ الجُدرانَ وَيلْكُمُها ويأمرُهُم بالقدوم والإفراجِ عنّا. بعد بُرْهَةٍ، حضرَ المُضيف، فانقضَّ عليهِ نيد لاند وأمسَكَ بِخناقِه، قبل أن أتمكَّنَ من رَدْعِه. حاولَ كونسيل مساعَدَةَ المُضيف. ثمّ صاحَ صوتٌ باللُّغةِ الفرنسيَّةِ يقول: «اهدأْ، يا سيّد–»، وأضاف: «شكرًا لكما أيها البروفسور وخادِمك على مُساعَدَتِكما. أودُّ الكلامَ معكمَ جميعًا».
ذلك كان القُبْطان.

عند سَماعِ نيد لاند هذه الكَلِمات، انتصَبَ فجأةً، ثمّ نهضَ المُضيفُ لاهِثًا، وبإشارةٍ من القُبْطان، غادرَ الغُرْفة.

«أيُّها السّادة»، قالَ القُبْطانُ بهدوءٍ، «أنا أُتقِنُ الفرنسيَّةَ والإنكليزيَّةَ والألْمانيَّةَ واللاّتينية. وكانَ من المُمْكِنِ أن أتحدَّثَ معكُم في الأمس، ولكن كان عليَّ أولاً أن أقرِّرَ ما الذي يَنْبَغي بي فِعْله بكُم، وإن كنتُ أعرِفُ من تكونون. لقد مُنِحْتُ اليومَ فُرْصَةَ التعرّفِ شخصيًّا على السيد بيير أروناكس، بروفسور في التاريخ الطَّبيعي في مُتحَفِ باريس، وكونسيل خادِمه، ونيد لاند، رمّاحٌ متمرّسٌ على مَتْنِ الفرقاطَةِ أبراهام لنكولن.»

توقّفَ هُنَيْهة، ثم تابعَ قائِلاً: «لم يكُنْ من المفترَضِ بكُم التواجُد على غوّاصتي. والأسوأ من ذلك، أنَّ سفينتكم أطلَقَتِ النّارَ علي، فيما رَماني السيّدُ نيد بالحَرْبَة. الأمرُ الّذي يمنَحُني الحقَّ كلّه في معامَلَتِكم معامَلَةَ أَعْداء».

«لكن، ما كان لرجلٍ مُتَحضّرٍ أن ...» بدأْتُ أقول، ليقاطِعَني على وَجْهِ السُّرعَةِ ويقول: «أنا لا أتبع قواعِدَ المُجْتمَع، بل أَضَعُ قواعِدي الخاصَّة.»





بعد صَمْتٍ طويل، قال: «لقد قرّرتُ إبقاءَكُم على متنِ سفينتي، ومَنْحَكم حُرِّيَّةَ التحرّكِ على أي شِبْرٍ منها. ولكن في مقابلِ هذه الحُرِّية، سوف أفرِضُ عليكم شرطًا واحِدًا. يجب أن تَنْسوا أمر عائِلاتِكم وأصدِقائِكم، لأنكم لن تَرَوْهُم مرةً أخرى.»

«ذلك ظُلْمٌ، يا سيدي،» صاحَ نيد لاند.

«لا يا سيدي، ذلك لُطْفٌ بالِغٌ منّي»، قال القبطان. «لقد شَنَّتْ فرقاطَتُكم هجومًا عليّ. وبِتُّم الآن تعرِفون سِرّي الذي ما كان ليخرجَ يومًا إلى العَلَن. لذلك السَّبب، لا يُمْكِنني أن أدَعَكُم تذهبون».

ثم التفتَ إليَّ وقال، «سيد أروناكس، لقد قرأتُ أعمالَك، وأنا سعيدٌ جدًا بلقائِك. أنتَ ملمٌّ بالكثيرِ وصاحِبُ خبرةٍ واسِعة، ولكنَّك مع ذلك، لم تَسْبُرْ يومًا أعماقَ المُحيط.» عليَّ أن أقرَّ لكم، بأنّه بكلامِهِ هذا، حرّكَ في أعْماقي فُضولَ العالِمِ الذي يَكْمُنُ في داخِلي للبقاء.

«أنا القُبْطان نيمو وأنتم تُسافرونَ على مَتْنِ نوتيلوس»، قالَ لَهُم.

ثم أضافَ «والآن، يا سيد أروناكس، إنَّ الإفطارَ في انتِظارِكَ. تعالَ معي. وسوف يَجِدُ أصحابُك فُطورَهُم في حُجُراتِهِم.»

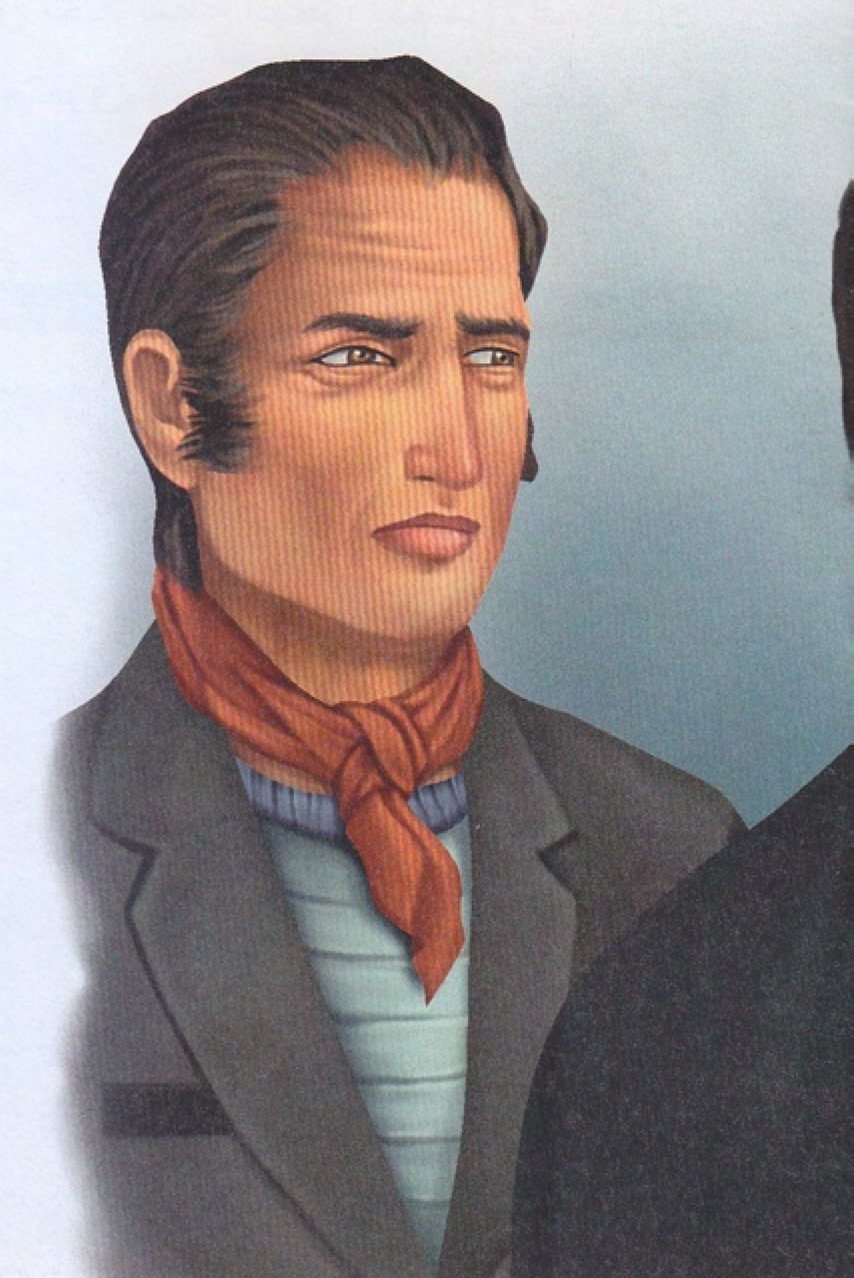
قادَني القُبْطان نيمو داخِلَ غرفةِ طعام أنيقةٍ حيثُ زُيِّنَتِ المائِدَةُ بعدَّةِ أَطْباق. وبينما كُنّا نتناوَلُ الطَّعام، أخبرَني القُبطان نيمو بأنّ كلَّ الطّعام الذي نتناوله قادِمٌ من البَحْر.

بعدَ الإفطار، أرشَدَني القُبطان نيمو إلى مَكْتبتِهِ حيثُ كان يَحْتفِظُ بعددٍ كبيرٍ من الكُتبِ مرتَّبةً على رفوفٍ عَريضةٍ من خَشَبِ الأَبَنوس.

«سيدي، لا بدَّ أنك تملكُ ستَّةَ أو سبعَةَ آلافِ مجلَّدٍ هنا،» قلت له.

«اثني عَشَرَ ألف يا سيد أروناكس! إن هذه الكُتُب هي الرابِطُ الوحيدُ الذي يَصِلُني بالمُجْتَمع»، قال القُبْطان نيمو.

بعد أن أَشْبعتُ عينيَّ من رؤيَةِ الكُتُب، اصْطَحَبني القُبْطان نيمو إلى غُرْفةٍ واسِعةٍ كانت عبارَةً عن مُتْحَفٍ يَكْتظُّ بمختلفِ اللوحاتِ الشَّهيرةِ والمَنْحوتات، ويعجُّ بالأدواتِ الموسيقيَّةِ ومَعْزوفاتٍ للعُظَماء وتَزْخَرُ بكنوزٍ اسْتَنْبطَها من البِحار. وكان القُبْطان نيمو قد جَمَعَ هذه المُمْتَلكات بنفسِهِ ضِمْنَ مجموعاتٍ واسعةٍ لا تُقدَّرُ بثَمَن.



ثم، سَألتُه، «نوتيلوس هي سَفينةٌ غير عاديَّة. ولكن كيفَ تَعْمَل؟»

«بواسطَةِ الكَهْرباء!» قال القُبْطان، «إنها تُمِدُّني بالحرارةِ والضَّوءِ وتُديرُ كلَّ ما أملِكُ من آلات».

«الكَهْرباء»! صِحْتُ في دَهْشَةٍ.

«لكنَّ استخدامَ الكَهْرباء على نِطاقٍ كبيرٍ كهذا أمرٌ لم يُسْمَعْ بِهِ من قَبْل!» هَتَفْتُ قائلاً. «من أين تستمِدّ الطّاقة؟»

«مِنَ البَحْر، يا أُستاذ»، قالَ القُبطان نيمو. «يُمْكِنُني إزالةُ الأملاحِ من مياهِ البَحْرِ واسْتِخْدامِها لشَحْنِ البطّاريات التي صَنَعْتُها».

«والهواءُ الذي تَتَنفّسه؟»

«يتمُّ تجَدْيدُه كلَّما طَفَوْنا على سَطْحِ البَحْر. ومَعَ ذلك، فإننا نقومُ بتخزينِ هواءٍ إضافيّ ضِمْنَ خزّاناتٍ كبيرة»، أوضَحَ القُبْطان نيمو. ثُمَّ قادَني إلى المَدْخَل.

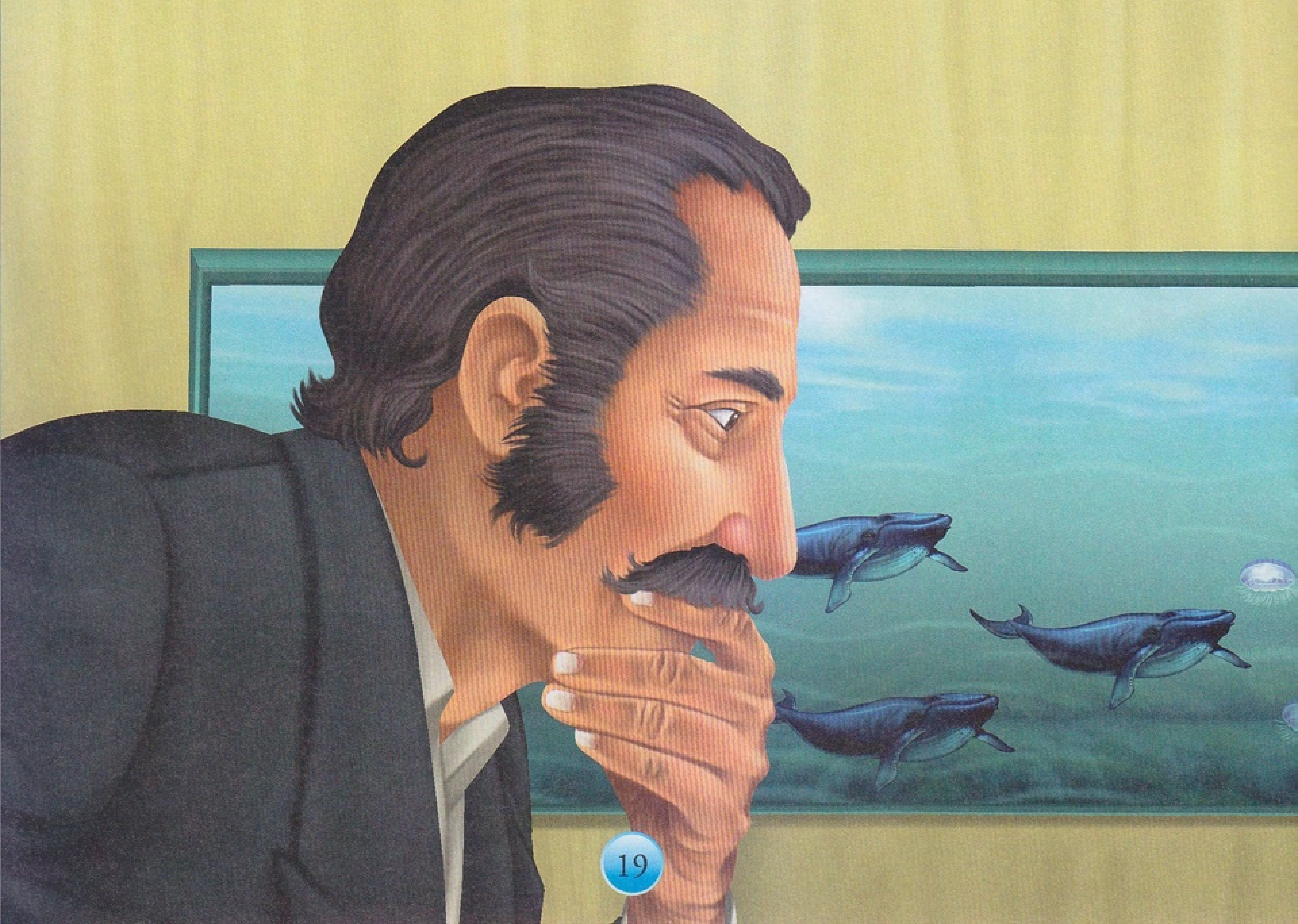
اصْطَحَبَني عبرَ مَمَشىً أَفْضَى بنا إلى فُتْحَةٍ جَميلة الشَّكلِ عُلِّقَ عليها سُلَّمٌ. ولما سألْتُ القُبْطانَ عن الغَرَضِ منه، أجابَني بِهُدوءٍ تامّ: «إنه يؤدّي الى قارِبٍ صَغيرٍ نستخدِمُهُ عند ذَهابِنا إلى الصَّيْد».

لقد عُلِّقَ القارِبُ الصَّغيرُ إلى نوتيلوس بواسِطَةِ قُفْل. وقبل إطْلاقِ القارِب، تُرخّى البَراغي التي تَربطُ القارِبَ بالغوّاصة. وعندما يَرْتَقي صُعودًا ويصِلُ إلى سَطْحِ المياه، تتمُّ إزالَةُ فُتْحَةِ القارِبِ ويُصْبِحُ جاهِزًا للإبحار.

كما شَرَحَ لي القُبْطان نيمو أنه من أجْلِ إبقاءِ نوتيلوس تحْتَ سَطْحِ البَحْر، يتمُّ ملْءَ الخزّاناتِ الموجودَةِ في قَلْبِ السفينةِ بالماء، فتصبحُ أثقلَ وزنًا وتَغْرَق. ومن أجلِ دَفْعِها إلى سَطْحِ المياه، تُضَخُّ المياهُ خارجَ الخزّانات.



ولما تساءَلْتُ عن كيفيَّةِ بِناءِ هذه السَّفينة بسرِّيَّةٍ تامَّة، ضَحِكَ وقال: «لقد أمرْتُ بصُنْعِ كُلِّ جزءٍ من الغوّاصَةِ في مِنْطَقَةٍ مختلِفةٍ من العالَم واستَخْدَمتُ أَسْماءً مختلِفَة، أيُّها السيد أروناكس.
ثمَّ، أَعْدَدتُ ورشَةَ عَملٍ في جزيرةٍ صَحْراوِيَّةٍ في المُحيط حيثُ قُمْتُ والعُمالُ بتَجْميعِ نوتيلوس.
وعندما انتهَيْنا من العَمَل، دَمَّرنا كلَّ أثرٍ لعَمَلِنا في تلكَ الجزيرَة».
«لا بدَّ أن هذه السَّفينة قد كلَّفتك ثروةً طائِلَة!»
«مليون دولار، يا أستاذ!» أردفَ القُبْطان نيمو. ثم توقَّفَ هنيهَةً واسْتَطردَ قائِلاً: «لكنّني فاحِشُ الثَّراء».
ثمّ التفتَ إلى خريطَةٍ كانت معلَّقَةً على الحائط، وقال: «نحنُ الآنَ على بُعْد ثلاثمئَةِ ميلٍ من اليابان. إنها الساعَةُ الثانيةَ عَشَر ظُهْرًا بالضَّبط من هذا اليوم من شهر تشرين الثاني/نوفمبر 1867، ونحن نستهلُّ رِحْلَةً حولَ العالَم تَحْتَ الماء».
عِندما عُدْتُ الى غرفتي، كان الظَّلامُ دامِسًا. ثم لمَحْتُ لوحَيْنِ على طولِ الجِدار قد ترُكا مفتوحَيْن عَمْدًا، وتَبَدّى خَلْفَهما نافذتان. نظرْتُ إلى الخارِج، فأذهلني منظرُ المياهِ التي كانت متوهّجَة ومُشَعْشِعة. كنتُ في الحقيقةِ أَرْنو إلى أكبرِ حوضٍ مائيٍّ في العالَمِ أجْمَع! جلستُ لساعاتٍ أتأمّلُ في تلك المخلوقاتِ الرائِعَةِ التي كانت تتألَّقُ أمامي.



السَّيْرُ في قاعِ المُحيط

تِسْعةُ أيامٍ مرّتْ على وجودِنا في الغوّاصَة نوتيلوس. وذاتَ يومٍ، وفيما كنتُ جالِسًا برفْقَةِ نيد وكونسيل، وَصَلتْني رسالَةٌ تقول:

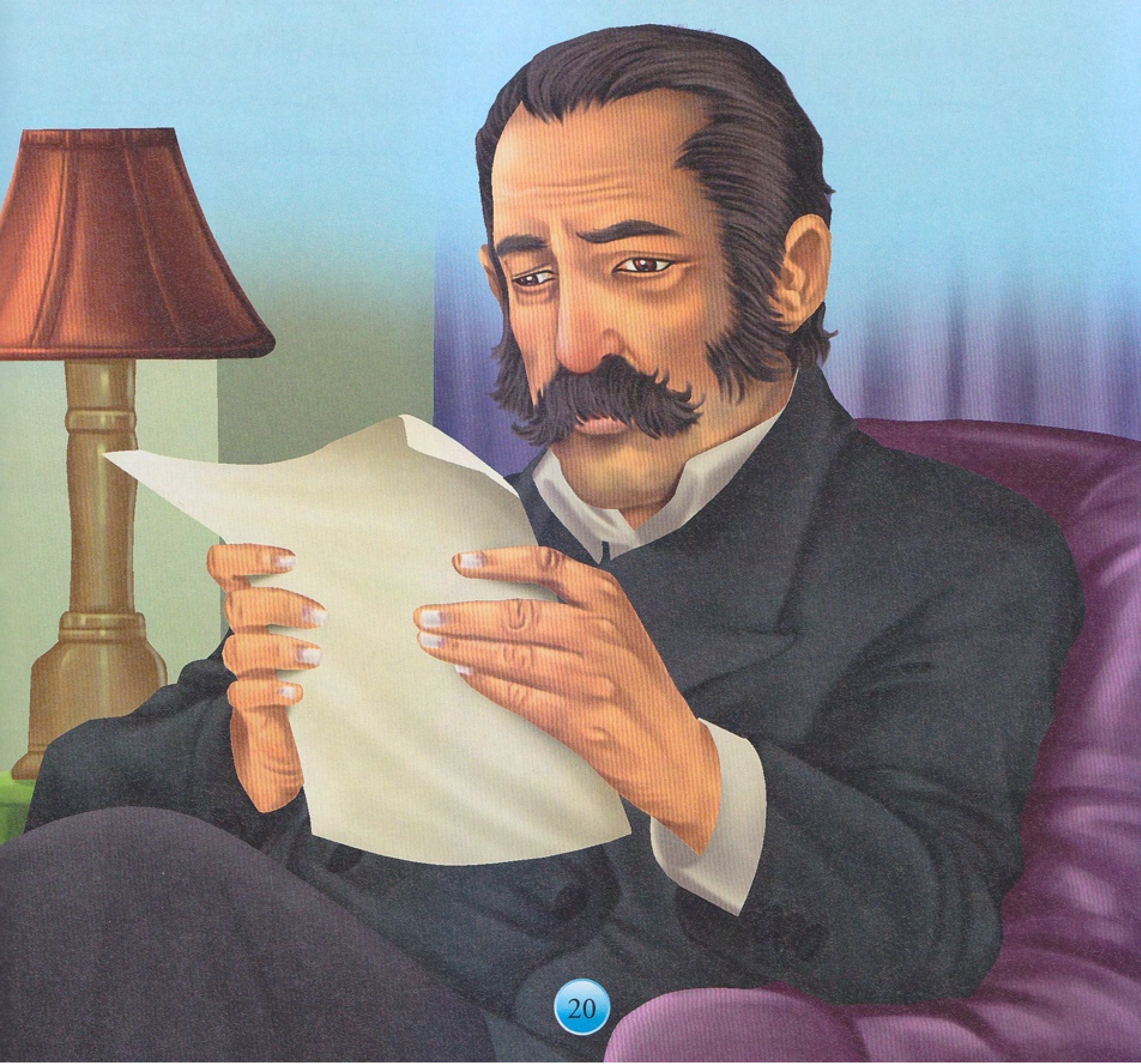
أستاذ أروناكس، السّادس عشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1867،

يَسُرُّني أنا القُبْطان نيمو، أن أدعوكَ وأصدقاءَكَ صَباحَ الغَدِ إلى رِحْلَةِ صَيْدٍ في غاباتِ جزيرة كريسبو. القبطان نيمو.

«رِحْلَةُ صَيْد»! هتفَ نيد في حَماس.

«في غاباتِ جزيرةِ كريسبو!» أضافَ كونسيل.

«هذا يَعْني أنَّ القُبْطانَ سوفَ ينزِلُ إلى اليابِسة»، قال نيد بفَرَح. قَبِلْنا الدعْوَةَ وإن حَيَّرني الأمرُ



لأنّ القُبْطان نيمو كان يكرَهُ اليابِسَة.
عندما أَطْلَعتُ القبطانَ نيمو في صَباحِ اليومِ التّالي، عن اسْتِغْرابي للأمر، أوضَحَ لي بأَنَّ الغابات موجودَةٌ في قَعْرِ الماء.
«في قَعْرِ الماء؟» صِحْتُ متفاجِئًا. «ولكننا لا نستطيعُ التنفُّسَ تحتَ الماء!»
«أنا واثِقٌ من أنّكَ قد سَمِعْتَ بسُتراتِ الغَوْص،» أجابَني قائِلاً.
«ولكنَّ سُترات الغَوْصِ تكونُ موصولَةً إلى القوارِبِ بواسِطَةِ خراطيمَ هواءٍ طويلَة، أيُّها القُبْطان،» أَجَبْتُ، «وخراطيمُ المياهِ تَحُدُّ من حَرَكَةِ تنقُّلِ الغوّاصين».
«لا تَقْلَقْ، أيها الأستاذ،» سارعَ يقول، «لقد صَنَعْتُ قواريرَ هواءٍ تُعَلَّقُ على ظَهْرِ الغَطّاسين وتُخوّلُهم التحرُّكَ بحُرِّيَّة.»
إذاك، راقَتْ ليَ الفِكْرَةُ كثيرًا وما عُدْتُ أُطيقُ صَبْرًا للانْطِلاقِ في رِحْلَةِ الصَّيْد.
ولكن، عندما عَلِمَ نيد أن رِحْلَةَ الصَّيْدِ كانت تحتَ الماء، أَبَى الذَّهاب، في حين قرَّرَ كونسيل مُرافقتي. وبعد بُرْهَة، قادَنا القُبطانُ إلى غُرْفَةٍ صَغيرة، حيثُ ساعَدَنا اثنانِ من أفرادِ الطّاقَم على ارتداءِ بَدَلاتِ الغَوْص. من ثم وَضَعا خُوذَةً مَعْدنيَّة كبيرةً وزجاجية على رَأْسِ كلٍّ منّا، وثبّتا قارورَتانِ مِنَ الهواءِ على ظَهْرَيْنا.





تمكَّنْتُ على الفورِ من التَّنفُسِ بسُهُولة، ثم أُدْخِلْنا إلى غرفَةٍ صغيرةٍ مجاوِرَة، وسُلِّمنا البنادِقَ قبل أن يُغلَقَ البابُ وراءنا.

في ما بعد، طَرَقَ مسامِعَنا صوتُ المياهِ التي بدأَتْ تَمْلأُ المَقْصُورَةَ الصَّغيرة. وعندما امتلأَتْ كُلِّيًا بالمياهِ، فُتِحَ بابٌ آخر أمامَنا، وأصْبَحنا في طَرْفَةِ عَيْنٍ في قاعِ المُحيط.

بدأنا بالسَّيرِ على سَهْلٍ رَمْليّ نحو مجموعَةٍ من الصُّخورِ التي كانت تَعُجُّ بمختلفِ أَصْنافِ الزّوفيت (حيوانٌ نباتي)، التي مَتَّعَتْ عيونَنا بِرَوْعَتِها. وكانَتْ ألوانُها المختلِفَة تتآلَفُ في مَنْظرٍ خلاّب! وفوقَ هذه النّباتات، كانتِ الأَسْماكُ الوفيرةُ تَسْبَحُ بحَماس.

كلُّ هذه العجائِبِ تبدَّتْ لنا في رُبْعِ ميلٍ فَقَطْ. بعد بُرْهَة، بدأنا بارْتيادِ وادٍ ضَيّقٍ كان يَترامى أمامنا على مسافَةٍ بعيدةٍ ويطوّقُهُ جداران شاهِقان. وفي قلبِ هذا الوادي، انتصَبَتْ مَجْموعَةٌ من النباتاتِ تُحاكي الأَشْجارَ الباسِقَةَ وتَتَصاعَدُ أغْصانُها إلى الأَعْلى. أمّا قاعُ الوادي، فكان



مَهْدَ الصُّخورِ الحادّة. لقد كنا في غابَةِ جزيرةِ كريسبو.

تابعنا السَّيْرَ عبرَ هذه الغابةِ الغَريبةِ لفترةٍ طويلة. ولم نتوقّفْ إلاّ بعد أن وَصَلنا إلى جِدارٍ صَخْريٍّ ضخمٍ، هو حافَةُ الجزيرةِ نفسها. ولما كان القُبْطان نيمو يرفُضُ أن يَطأَ أرضَ اليابِسَة، بلغَتِ الرِّحلةُ نهايتها.

فانطلقنا في طريقِ العودَةِ إلى نوتيلوس. ولكن ما كِدْنا نصِلُ إلى السَّهلِ الرَّملي حتى شهرَ القبطان نيمو بندقيَّتَه وأطلقَ النار. وعلى الفور، سَمِعتُ صَوْتًا غريبًا تَلَتْهُ خَبْطَةٌ قوية تدلّ على سقوطِ أحدِ الحيواناتِ صَريعًا. وبالفعل، كان القبطان قد اصْطاد قُضاعَةَ بَحْر، طولُها خمسة أقدامٍ وذات فرو يتماوَجَ بين البُنّي والفضّي. التقطها القبطان، وحَمَلها على كَتِفيه ثمّ بدأَ بالسَّيْر نَحو نوتيلوس. كان لنُزْهتِنا تلك تحتَ الماءِ وقعٌ كبيرٌ في نفسي وقد تَركَتْني في ذُهولٍ تامّ.

أحلامٌ مريضَة

في كانون الثاني/يناير، وَصَلنا إلى المُحيطِ الهنديّ. حتى الآن كانت رحلتُنا حافِلةً بالأَحْداث.

في صباحِ أحدِ الأيام، استيقظتُ من النومِ على طَقْسٍ عاصِف. فتوجَّهْتُ الى مِنَصَّةِ نوتيلوس حيثُ وجدتُ ضابطًا برُتبة ملازِمٍ يأخذُ بعضَ القياسات، برفقةِ القُبْطان نيمو الذي كان يحمِلُ تِلِسْكوبًا في يَده.

تبادَلَ القُبْطان نيمو بعضَ الكلماتِ مع المُلازم، ثمّ أشارَ نحو الأُفُق. فدفَعَني الفُضول إلى النَّظرِ بالاتجاهِ نفسه ولكنَّني لم أرَ شيئًا.

ما الذي كان ينظُرُ إليه يا ترى؟ لم تَكُنِ الأرضُ تلوحُ في الأفق.



ساوَرتني الحَيْرَةُ فذهبتُ إلى الصّالون، ونظرتُ نحو الأُفُق من خلالِ تِلسْكوبٍ ممتاز كان متروكًا هناك. ولكن قبلَ أن أتمكّنَ حتى من وَضْعِ عيني على التلسكوب، انتزَعَهُ أحدُهم منّي. التفتُّ ورأيتُ القُبْطان نيمو يَرْمُقني. ثمّ قال لي بكلِّ بساطَة: «سيد أروناكس، عليَّ أَنْ أَحْتَجِزَكَ أنت وأصدقاءَكَ لفترةٍ من الوَقْت».

لم يقدِّمْ مَزيدًا من التَّوضيح، بل زادَني حَيْرَةً وارْتِباكًا عندما أَمَر بعد بُرْهَةٍ باحتجازِنا في حُجْرةٍ صغيرةٍ. في ما بعد، أحضرَ لنا الطَّعام، فَتناولناهُ في صَمْت.

ولكن ما إنْ أنهينا الوَجْبة حتى غَطَّ نيد لاند وكونسيل في نَوْم عَميق. أنا أيضًا كنت أشعرُ بنُعاسٍ شَديد. إذاك، أدرَكْتُ أن مُخدِّرًا قد دُسَّ لنا في الطَّعام. وأيقنتُ مَذْعورًا بأنَّ احتجازَنا لم يكن كافيًا بالنِّسبةِ للقُبْطان نيمو. بل كان عليه أيضًا أن يَجْعلنا ننام!



مملكةُ المَرْجان

عندما اسْتَيْقظتُ في اليومِ التّالي، وَجَدْتُ نَفْسي في غُرْفتي. وممّا لا شكّ أن صديقيَّ كانا هما أيضًا الآن في غُرْفتِهما. وبينما كنتُ أَرْتدي ملابِسي، أدرَكْتُ بأنني لا أملِكُ أَدْنى فِكْرَة عمّا يمكن أن يكون قد حَدَثَ في الأمس، بعد أن جَرَى تَخْديرنا.

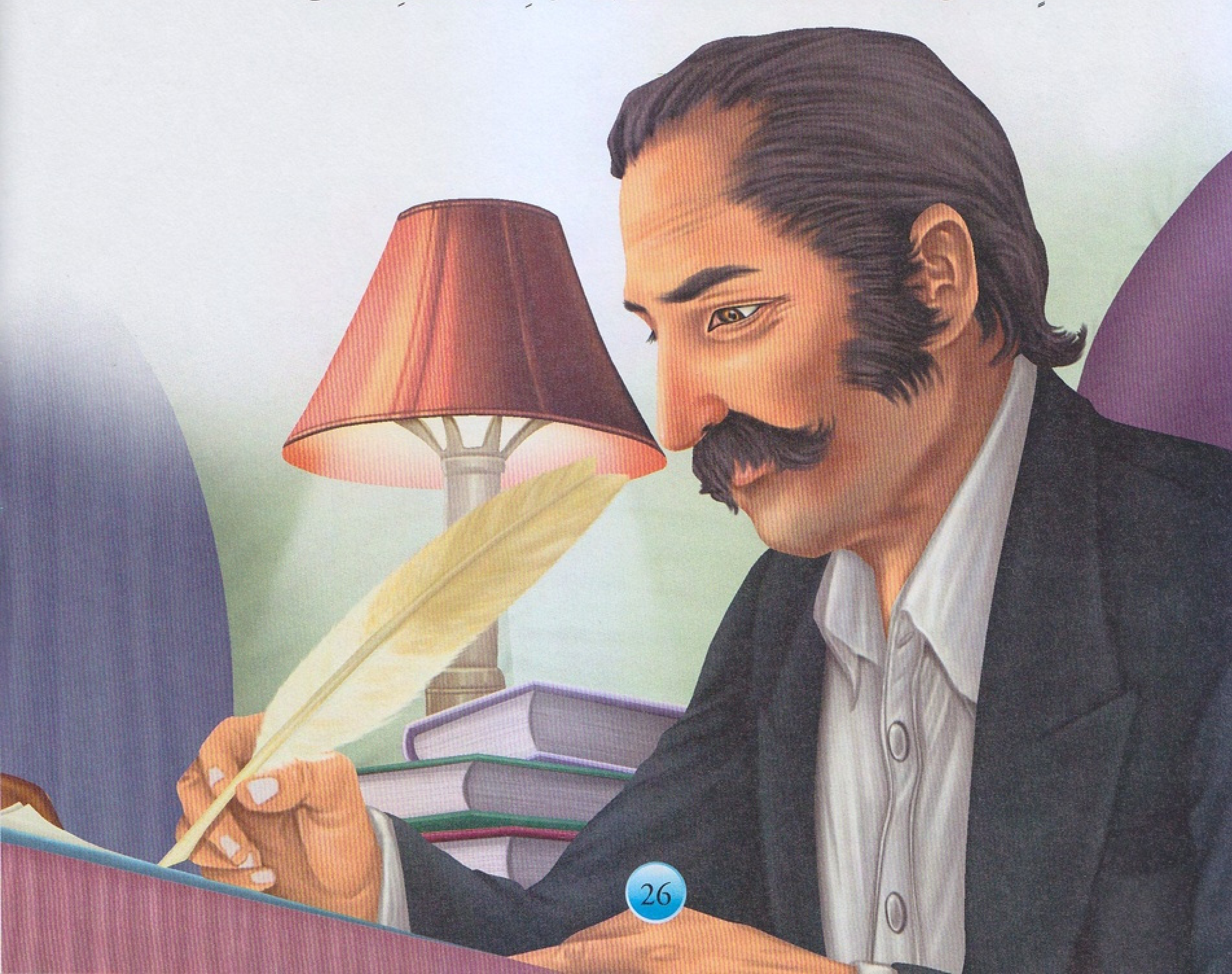
وعندما التقيتُ نيد وكونسيل، وجدتُهما مِثْلي مُسَربَلَين بالحَيْرَةِ حولَ أحداثِ الليلةِ الماضِيَة.

في وقتٍ لاحِقٍ من منتصَفِ النّهار، كنتُ مستويًا على كرسيٍّ في الصّالون، أدوّنُ بعضَ الملاحَظاتِ من أجلِ كِتابي القادِم عندما دخلَ عليَّ القُبْطان نيمو. أمَلْتُ أن يُعْطيني شَرْحًا حول الأحداثِ الأخيرة، ولكنَّهُ لم يفعَل، إنّما اتّشحَتْ ملامِحُهُ بالإجهادِ والشُّجون. ثمّ سألني: «هل أنتَ طبيبٌ أيّها البروفسور أروناكس؟».

«حسنًا،» أجبتُه، «لقد كنتُ جرّاحًا في المُستشفى قُبَيْل انْضِمامي إلى المُتْحِف.»

فأردَفَ قائلاً: «هل لديكَ مانِعٌ من معايَنَةِ أحدِ رجالي؟».

تبِعْتُه على الفَوْر الى إحدى المَقْصُورات القائِمَة داخِلَ جَناحِ الطَّاقم. وسَرعانَ ما تبيّنَ لي، على نحوٍ لا يَرْقى إليه شَكّ أنَّ إصابَةَ هذا الرجل مُرْتبِطَةٌ بأحداثِ الأمْس.



في الحقيقةِ، كان مُمَدَّدًا على السَّرير، رجلٌ غطَّتْ رأسَهُ ضماداتٌ مُلطَّخَةٌ بالدِّماء. أَزَلْتُ الضِّمادات، فتبدَّى لي الجُرْحُ الرَّهيب. لقد كانَ رأسُهُ مُحطمًا بالكامِل، حتى إنّ جُزءًا من دِماغِهِ كانَ ظاهرًا. وكان الدَّمُ قد تجلَّطَ منذ فترةٍ من الوَقْت. وكان نَفَسُ الرَّجُلِ بَطيئًا؛ ونبضُهُ ضَعيفًا وأطرافُهُ بارِدَةً! ضَمّدْتُ جروحَ الرَّجلِ المِسْكين، ثمّ سألْتُ القُبْطان نيمو عن سببِ الجُرْح؟»

فأجابَ بنبرةٍ حادَّة «هذا ليسَ من شأنك».

ثمّ سألني: «ما هي حُظوظُهُ في البقاءِ على قيْدِ الحياة؟»

فأجَبْتُه: «لن يَصْمُدَ طويلاً».

ارتعَشَتْ يدُ القُبْطانِ نيمو ثمّ اغْرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدُّموع. غادَرْتُ الغرفَةَ مستغربًا حقيقةَ أنني اسْتَشْفَيْتُ ملامِحَ رَحمَةٍ تراوِدُ أجْفانَ هذا الرَّجل.

ثمّ في صباحِ اليوم التّالي، دَعاني ورِفاقي إلى رِحْلَةِ صَيْدٍ أخرى تَحْتَ الماء.

فانضمَّ نيد لاند إلينا هذه المرَّة.

وهكذا بعد زُهاءِ نِصْف ساعة، أصبحنا تحتَ الماءِ برفْقَةِ القُبْطان نيمو وبعض أعْضاءِ طاقَمه. مَشَيْنا على مُنْحدرٍ زَلِقٍ تحت الماءِ إلى أن بلغنا مَمْلَكةً مَرْجانيَّةً كانَتْ على قَدْرٍ لا يوصَفُ من الجَمالِ وتزْخَرُ بأعدادٍ لا تُحْصَى من المرْجان.

وما كِدْتُ ألمُسُ المَرْجانَ حتى تنبَّهَتْ الزَّوائِدُ للخطرِ وانسحَبَتْ داخِلَ قواقِعِها الحمراء ، لتتجلّى خَلْفَها كُتَلٌ من الصُّخور.

بعد انْقِضاءِ ساعَتَيْنِ من الوَقْت، وَصَلْنا إلى بُقْعَةٍ مُظْلِمَةٍ حيث كوَّنَ المَرْجانُ أَشْجارًا من الحَجَر تعانَقَتْ مَعَ بعْضِها بِشَكْلٍ كَرْمَةٍ في مُنْتَهى الرَّوْعَة. فأبطأَ القُبْطان نيمو وتوقَّف.

حَذَوْنا حَذْوَه. فرأيتُ أربعةَ رِجالٍ يحمِلونَ حُزْمَةً بيضاءَ طويلَةً على أَكْتافِهِم.

إذاك، أشارَ نيد بإصبَعِهِ إلى عدَّةِ قوالِبَ من الرِّمالِ قد تراكَمَتْ حولَ صَليبٍ من المَرْجان.

وعند إشارَةِ القُبْطان، بدأَ رَجُلان يَحْفِران في القَعْرِ، ليتّضِحَ لنا أننا كنّا في المَقْبَرَةِ التي يَدْفِنُ فيها القُبْطان نيمو أفرادَ طاقَمِه!

وُضِعَتِ الرُّزْمَةُ البيضاءُ داخِلَ الحُفْرَة، من ثم وورِيَتْ في الرَّملِ ووقَفْنا كلُّنا للصَّلاة.

في وَقْتٍ لاحِقٍ، أَبْلَغَني القُبْطان نيمو أن الرَّجُل قد فارَقَ الحياةَ الليلةَ الماضِيَة.



النَّفقُ العربيّ

بعدَ بِضْعةِ أيّام، وَلَجْنا مياهَ بَحْرِ العَرَب. عندما أَمْعَنْتُ في مسارِ نوتيلوس، تساءَلْتُ عن الوُجْهَةِ التي كنّا نَقْصِدُها. لأنَّ البحرَ الأَحْمَرَ كانَ طريقًا مَسْدودًا! وكان نيد لاند يُشاطِرُني الرّأيَ نفسه.

«أيُّها الأُسْتاذ، لا يمكِنُنا سِوى بلوغِ البَحْرِ الأبيض المتوسِّط من خِلالِ هذا الطَّريق بعد اجتيازِ القَناة!» صَرَخَ قائِلاً.

في التاسِعِ من شباط/فبراير، دَخَلْنا البحرَ الأَحْمَر. وعندَ الظُّهر، التَقَيْتُ القُبْطانَ نيمو على المِنَصَّة.

«أيُّها القُبْطان، هل سَبَقَ أن ذَهبتَ إلى البَحْرِ الأَحْمر ؟» سألْتُه.

«نعم، لقد وَصَلْتُ إلى قناةِ السويس، وسوفَ نكونُ في قَلْبِ البحرِ الأَبْيَض المُتوسِّط بحُلول الغَد».

«البحرُ الأبيضُ المتوسِّط!» ردَّدْتُ في عَجَب. «سوفَ يتحتَّمُ على نوتيلوس أن تُبْحِرَ بسُرْعَةٍ لا تُصَدَّق، على امتدادِ القارَّةِ الأفريقيَّة، لتصِلَ إلى البَحْرِ الأبيضِ المتوسِّط بحلولِ يومِ غَد».

« سوفَ تُبحِرُ نوتيلوس تحتَ أفريقيا»، قال وهو يبتسِم.

«تَحْتَها؟»



«أجل. لقد شَقّتِ الطَّبيعةُ مَمرًّا إلى البحْرِ الأبيضِ المتوسِّط قبلَ فترةٍ طويلةٍ من بدء الإنسانِ في شَقِّ مَمرِّهِ على الأرض»، أجابَني، ثم استطردَ قائلاً: «إنه ممرٌّ أدعوهُ بالنَّفَقِ العَربيّ».

ثمّ أخبرني أنّه كان قد اكتَشَفَ الممرّ صُدْفَةً على مسافَةِ خمسينَ يارِدَةٍ من أعماقِ قناةِ السويس داخل طبقةٍ صُلْبةٍ من الصُّخور، بعدَ أن لاحَظَ خلالَ إحْدى الرِّحْلات، أنَّ عَددًا معيّنًا من الأسماكِ في كلٍّ من البحرِ الأحمرِ والبحرِ الأبيضِ المتوسِّط كانت من النوعِ نفسه. الأمرُ الذي جعلَهُ يتأكَّدُ من وجودِ ممرٍّ يربُطُ بين البَحْرين. فدأَبَ على البَحْثِ وعَثَرَ على هذا الممَرّ.

عندَ المَساء، غارَتْ نوتيلوس تحتَ الماءِ بالقُرْبِ من قناةِ السُّويس.

بناءً على دعوةِ القُبْطان نيمو، حَضَرْتُ إلى القُمْرَةِ حيثُ كانَ يُديرُ دَفَّةَ الغوّاصَة نوتيلوس.

نَظَرْتُ إلى الخارِج، فرأيتُ البَحْرَ يتألَّقُ وَهَجًا وبريقًا من خلالِ ضوءِ المَصابيحِ السّاطِعَة.

لقد كُنّا نسيرُ إلى جانبِ جِدارٍ شاهِقٍ ومستقيم، وظَلَلْنا نُبْحِرُ بمُحاذاتِهِ زُهاءَ ساعَةٍ من الوَقْتِ قبل أن تنزلقَ نوتيلوس في دِهليزٍ كَبير، مُظلم وعَميق. ثمّ سَمِعْتُ صوتَ هديرٍ غَريب، بثّتْه مياهُ البَحْرِ الأَحْمر، عندَ دخولِنا النَّفق وذَهابنا إلى البَحرِ الأبيضِ المتوسط لأنَّ مستوى المياهِ في البحرِ الأحمرِ أَعْلَى من مُستواها في البَحْرِ المتوسّط. فانطلقَتْ نوتيلوس مَعَ التّيار كالسَّهْم.

بعد دقيقةٍ، غادَرَ القُبْطان نيمو الدَّفّة، وأعْلَنَ قائلاً: «البَحْرُ المتوسِّط».



في اليوم التّالي، 12 شباط/فبراير، عندَ الفَجْر، صَعِدَتْ نوتيلوس إلى السَّطْح. فخرجَتُ إلى المِنَصَّة حيث استطَعْتُ أن أرى الأرضَ على بُعْدِ ثلاثَةِ أمْيال. نيد لاند وكونسيل انْضمّا إليَّ أيضًا.

«حسنًا، إننا في قَلْبِ البَحْرِ الأبيضِ المتوسِّط»، قال نيد لاند. «لا بُدَّ أن أقِرَّ بأنني تأثَّرت».

ثم التفتَ نَحْوي وقال: «أستاذ، أنا بحاجَةٍ إلى التحدُّثِ مَعَك.» قَصَدنا حُجْرَتي. كنتُ أعرِفُ تمامًا أنَّه يُريدُ التَّحدُّث معي عن وسيلَةٍ للفِرار!

«نحن الآن في أوروبا، وعلينا أن نلوذَ بالفِرار قبلَ أن يَسْحَبنا القُبْطان نيمو مرةً أُخْرى تحتَ الماء»، قال في حَزْم.

على الرُّغمِ من أنَّني لم أكُنْ أريدُ أن أُعيقَ حُرِّيَّةَ رفيقي واعْتِراضَ سبيلِه، إلاّ أنّني كنتُ مُتردِّدًا



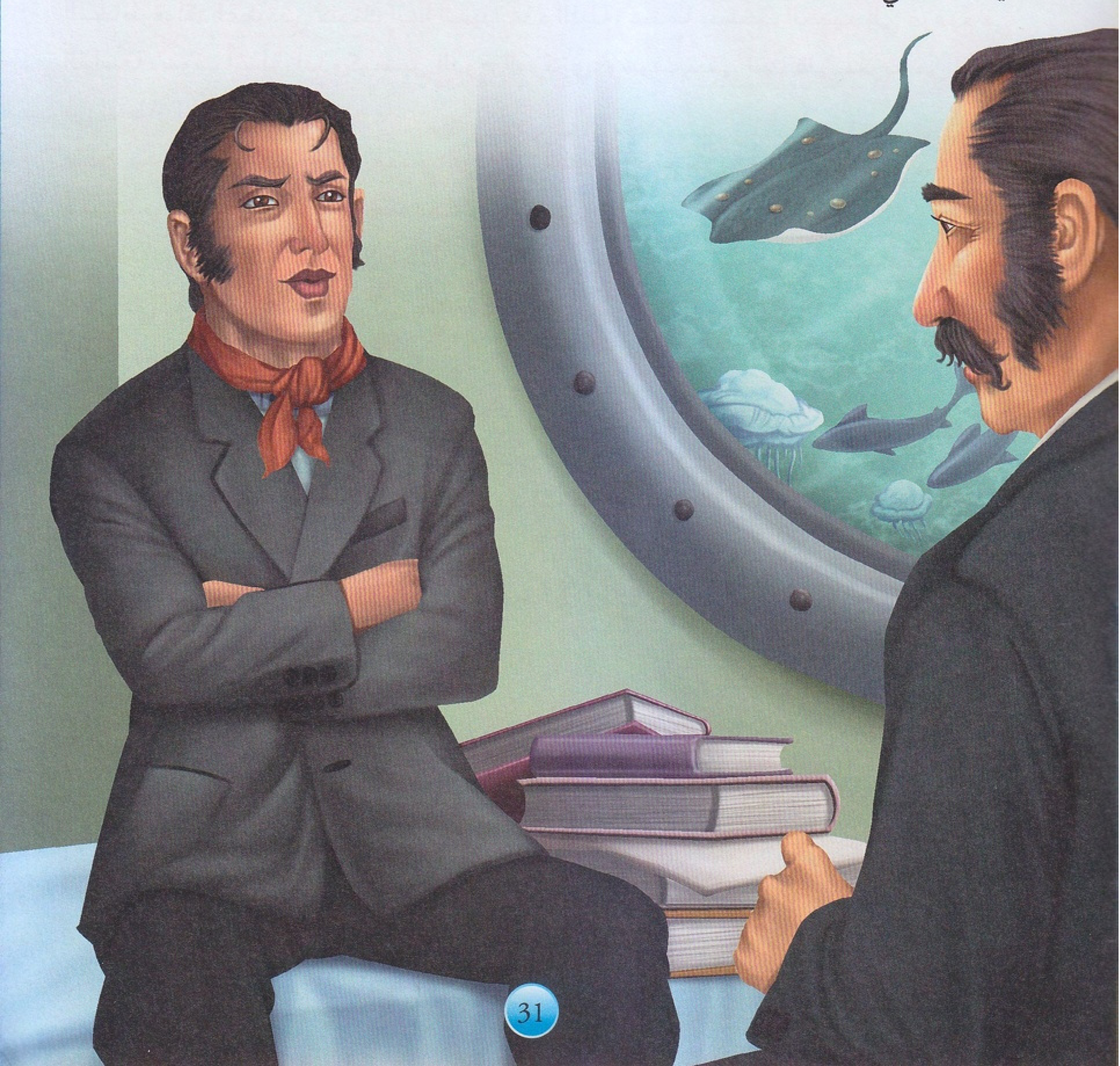
بين الإقْدام والإحْجامِ على مغادَرَةِ نوتيلوس التي مَنَحَتْني فرصَةً مُمتازَةً لإكمالِ كِتابي حولَ عجائِبِ الدُّنيا.

صَمَتُّ بُرْهَةً ثم قلتُ، «نيد، سوف نحصُلُ على فرصَةٍ واحِدَةٍ فقط للفِرار. وإن فَشِلْنا، سوف يحرُصُ القُبْطان نيمو على ألاّ نغادِرَ نوتيلوس. يجِبُ علينا انتظارَ الفرصَةِ المُؤاتِيَة».

«أستاذ، يُمكِنُنا الهربُ بسُهُولة، عندما نَقْتَرِبُ من الأراضي الأوروبيَّة».

«إنَّ القبطان نيمو لن يَدْنو قطّ من السَّواحِلِ الأوروبية،» قلتُ له. «ولكن أَعْلِمْني عندَما تكونُ مستعِدًّا».

وبالفعل، ظلَّ القُبْطان نيمو بعيدًا عن اليابِسَة. هل تُراهُ كانَ يَشُكُّ بنا؟ لم أستطِعِ الجَزْم. لكن نيد لاند قد أصيبَ بخَيْبَةِ أَمَلٍ كَبيرة. وفي النهايَةِ، خَرَجْنا من البَحْرِ الأبيضِ المتوسط، ودَخَلنا المُحيطَ الأطلَسيّ.



خليجُ فيغو

كانَتْ نوتيلوس تخترِقُ مياهَ المُحيطِ الأطلسيّ. وعندَما طَفَتْ على سطحِ الماء، صَعِدْتُ أنا ونيد لاند وكونسيل، إلى المِنصَّة، ورَمَيْنا بنَظرِنا إلى البحر. وذاتَ يوم، لاحَ لنا الساحِلُ الإسبانيُّ على بُعْدِ اثني عَشَر ميلاً. فعَقَدَ نيد العَزْمَ على الهَرَب.

كنتُ أعرِفُ أنه قد وَضَعَ خطّةً هذه المرَّة وأنّني لن أقْوى على رَفْضِها.

وفجأةً، قال: «إن ساحِلَ إسبانيا يقَعُ على بعد اثني عشر ميلاً. سوف نجرِّبُ حَظَّنا.»

بيدَ أنّني لم أكُنْ مستعدًّا بَعْدُ للرَّحيل.

ثم تابَعَ قائلاً: «هذه هي فُرْصَتُنا»، «صحيحٌ أنَّ الطقسَ رديءٌ، ولكنَّ حُرِّيَتَنا تستحِقُّ المُخاطَرَة. لقد أَعْطَيْتَني كلِمَتك أيُّها السيد. هذه الليلَة، عندما ينسَحِبُ الجميعُ إلى غُرَفِهِم في التاسِعَة، سوفَ أتسلَّقُ أنا وكونسيل الدَّرَجَ المركَزيّ، وسوف تَبْقى أنتَ على مقرُبَةٍ من المَكْتَبَة، في انتِظارِ إشارَتي».

بقيتُ صامِتًا. فما الذي كان يُمكِنُني قَوْلُه؟ لم أستطِعْ وَضْعَ حُرِّيَّةِ أصْحَابي على المِحَك، لاسيَّما وأننا قد لا نَحْظَى بفرصَةٍ مماثِلَةٍ مرَّةً أخرى.

ظلَّ القلقُ يُناوِشُني والأفكارُ المتضارِبَةُ تَتَنَازَعُني طوالَ اليوم. كنتُ أريدُ استعادَةَ حرِّيتي، ولكنْ في الوَقْتِ نفسِه، لم أكن أريدُ التخلّي عن نوتيلوس، وعن دراستي التي لم تَكْتمِلْ. ومَعَ ذلك، تحضّرتُ للفِرار وجَمَعْتُ أوراقي، واستعدّيت.

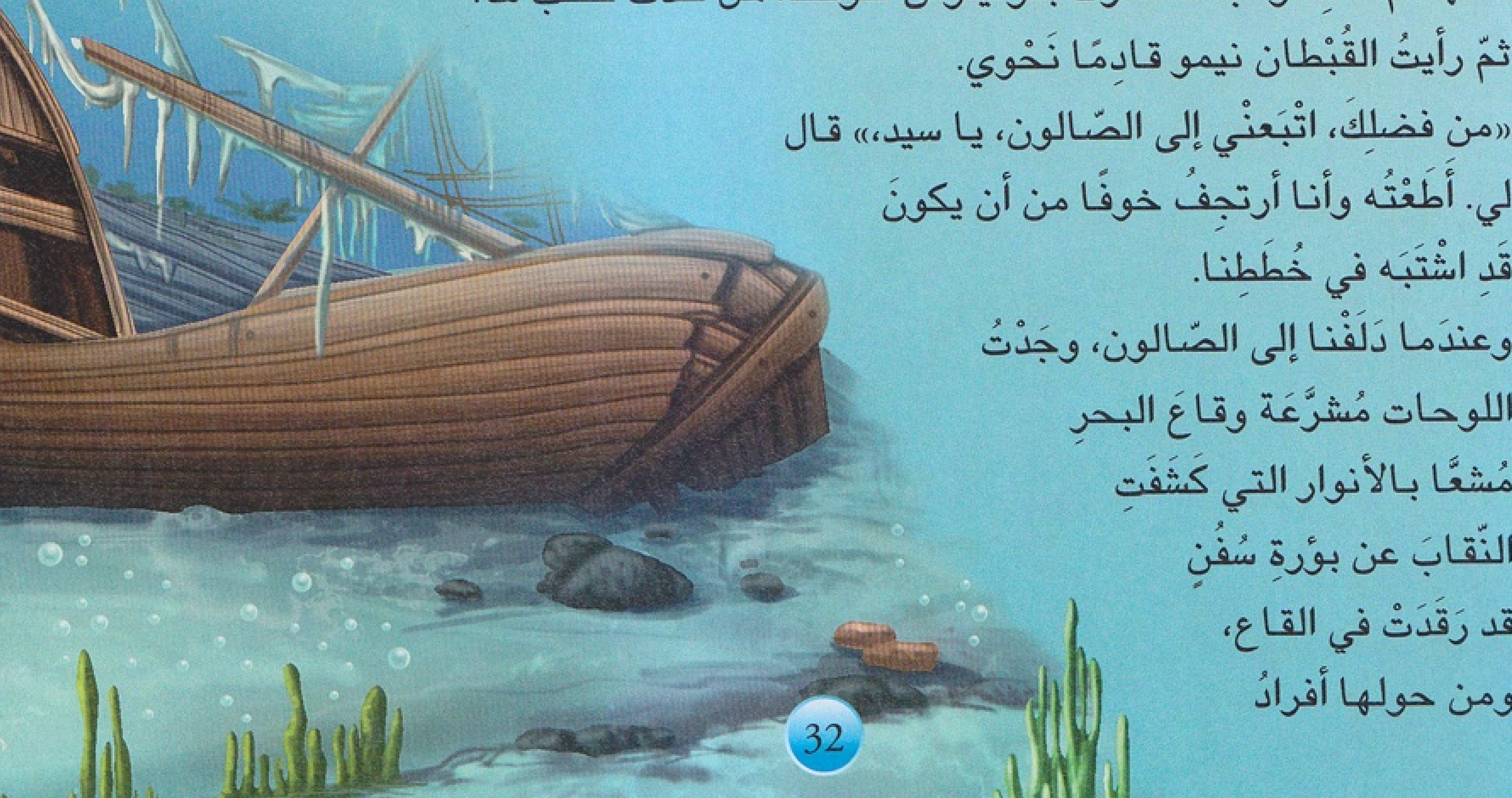
كان القلقُ يَنْمو في داخِلي، مَعَ مرورِ كلّ ساعَة. ثم، عندما دَقَّتِ السّاعَةُ التاسِعَةَ إلا ربعًا، تريّثْتُ بالقُرْبِ من المَكْتبة في انْتِظارِ إشارَةِ نيد.

لكنّها لم تَأْتِ. وفجأةً، شعرتُ بنوتيلوس تتوقَّف! هل حَدَثَ خَطْبٌ ما؟

ثمّ رأيتُ القُبْطان نيمو قادِمًا نَحْوي.

«من فضلِكَ، اتْبَعْني إلى الصّالون، يا سيد،» قال لي. أَطَعْتُه وأنا أرتجِفُ خوفًا من أن يكونَ قَدِ اشْتَبَه في خُطَطِنا.

وعندما دَلَفْنا إلى الصّالون، وجَدْتُ اللوحات مُشرَّعَة وقاعَ البحرِ مُشعًّا بالأنوار التي كَشَفَتِ النِّقابَ عن بؤرَةِ سُفُنٍ قد رَقَدَتْ في القاع، ومن حولها أفرادُ



الطَّاقم الذين اجْتهدوا في رَفْعِ الصَّناديق والتِقاطِ القِطَعِ النقديَّةِ والمُجَوْهَرات وألواحِ الذَّهَبِ والفِضَّة، وفي نَقْلِها إلى نوتيلوس.
«هذا خليجُ فيغو الذي يَقَعُ على السّاحل الغربيّ من إسبانيا، أيها الأستاذ»، قالَ القُبْطان نيمو. ثم شَرَحَ لي أن معركَةً شَرِسَة قد استعرَتْ في العام 1702، بين الإنكليز والإسبان. وبينما كانَتِ السُّفُنُ التابِعَةُ للملِكِ الإسباني عائِدَةً من أمريكا الجنوبيَّة مُحمّلَةً بالكُنوز، تعرّضَتْ لهجوم طاحِنٍ شَنَّه عليها الإنكليز الذين كَسَبوا المَعَركة. ولكن حِرْصًا من الأميرال الإسباني على مَنْعِ الكنوزِ من الوقوعِ في أيْدي العدو، أمرَ بإضْرامِ النَّارَ في السُّفُنِ الثلاثَة والعِشْرين، فانْتَهَى بها الأمْرُ في قاعِ المُحيطِ حيث دُفِنَتْ هي وكُنوزُها.
«هل بهذه الطريقة أصبحْتَ غنيًّا يا سيدي؟»
هزَّ رأسَهُ إيجابًا. فباشَرْتُ أقول «ولكنَّ هذه الثَّروة تعودُ إلى....
لكنَّ القبطان نيمو قاطَعَني بِحِدَّة، وقال: «هل تعتقِدُ أنّني لا أعرفُ مَدَى مُعاناةِ الناس، وضَرورةَ ثَأْرِ الضَّحايا من الظَّالمين، وإطلاقَ سَراحِ المُسْتَعبَدين؟»
لاذَ فجأَةً بالصَّمْت، ولعلَّهُ شَعَرَ بالنَّدم لإفصاحِهِ عن هذا القَدْر من الصَّراحَةِ عن مَكْنوناته.
ومع ذلك، أَقْنَعَتْني فورةُ غَضَبِه هذه بأنه كانَ لا يزالُ يحتفِظُ بحسِّه الإنسانيّ.
في صباحِ اليومِ التّالي، عندما التقيتُ نيد لاند، قرأتُ خَيْبَةَ الأَمَل على وَجْهِه. فأَضْحَى الآن أكثرَ تَصْميمًا على الرَّحيل.

جبلُ الجَليد

خلالَ الأيام القليلة المُقْبِلَة، واصَلْتُ الكِتَابَةَ عن مُلاحظاتي في عُرْضِ البَحْر.

وفي صَباحِ أَحَدِ الأيّام، دخلَ نيد لاند إلى حُجْرَتي، وأَخْبرَني بأن نوتيلوس لم تحوّلْ مسارَها باتِّجاهِ المُحيطِ الهادئ بعد أن عَبرتْ أمريكا الجَنوبيَّة.

«إنَّها لا تَزالُ تتَّجِهُ نَحْوَ الجَنوب» قال لي.

«هل القُبْطان نيمو يتَّجِهُ نحوَ القُطْبِ الجَنوبيّ؟» سألتُه. كانَتْ مخاوِفُنا في مَكانِها لأننا كنّا نَتَّجِهُ بالفِعْلِ نحوَ الأراضي البور الجليديَّةِ في القُطْبِ الجَنوبيّ!

واصَلَتْ نوتيلوس مَسارَها نحو الجَنوب بعد انتهاءِ شهر شباط/فبراير وبدء شهر آذار/مارس. وذاتَ يوم، أبصَرْتُ جبلَ جليدٍ يَشْمَخُ أمامَنا عندما طَفَتْ نوتيلوس على سَطْحِ الماء. وسَرعانَ ما انْبَسَطَ على مرأى منّا شَريطٌ أبيض طويلٌ ومُبْهِرٌ. ثم راحَتِ الجِبالُ الجَليديَّة تَتلاحَقُ وتَتكاثَرُ على جانِبَي نوتيلوس.



وأخيرًا، في الثّامنِ عَشَر من آذار/مارس، لم يَعُدْ بإمكانِ نوتيلوس الذَّهابَ أبْعَدَ من ذلك، إذِ امْتَدَّتْ أمامَنا طَبَقَةٌ صُلْبَةٌ من الجَليد.

«هذا هو الحاجزُ الجَليديُّ الكَبير»، قالَ نيد لاند. «لا تَسْتطيعُ أيّ سَفينةٍ تَخَطّيه».

ومعَ ذلك، كانَ القُبْطان نيمو عاقِداً العَزْمَ على الوصولِ الى القُطْبِ الجنوبيّ.

«كيف سَتَعْبُر الجَليد؟» سألتُهُ بفارِغِ الصَّبْر. «هل تَسْتطيع نوتيلوس أن تُحلِّقَ فوقَهُ؟»

«لا يا سيّدي،» قالَ بِهُدوء، «ولكن يُمْكِنَها أن تَزْحَفَ من تَحْتِه!»

اسْتَوْعَبْتُ الأمْر. فإنّ نوتيلوس غوّاصَة. قد يكونُ لَدَيْنا في الواقِعِ فُرْصَةٌ للوصولِ إلى القُطْبِ الجَنوبيّ.

بعدَ فترةٍ قصيرةٍ، غَطَسَتْ نوتيلوس إلى عُمْقٍ يوازي التسعمِئَة قَدَم، ثم إلى أعْمَقَ من ذلك. كنّا نتحرَّكُ بسلاسَةٍ تحتَ جبلِ الجَليدِ نحو القُطْبِ الجَنوبيّ.

في الصَّباحِ الباكِرِ من يومِ التاسِعِ عَشَر من آذار/مارس، دخَلَ القُبطان نيمو إلى الصّالون، وقال: «البَحْرُ مَفْتوح!»



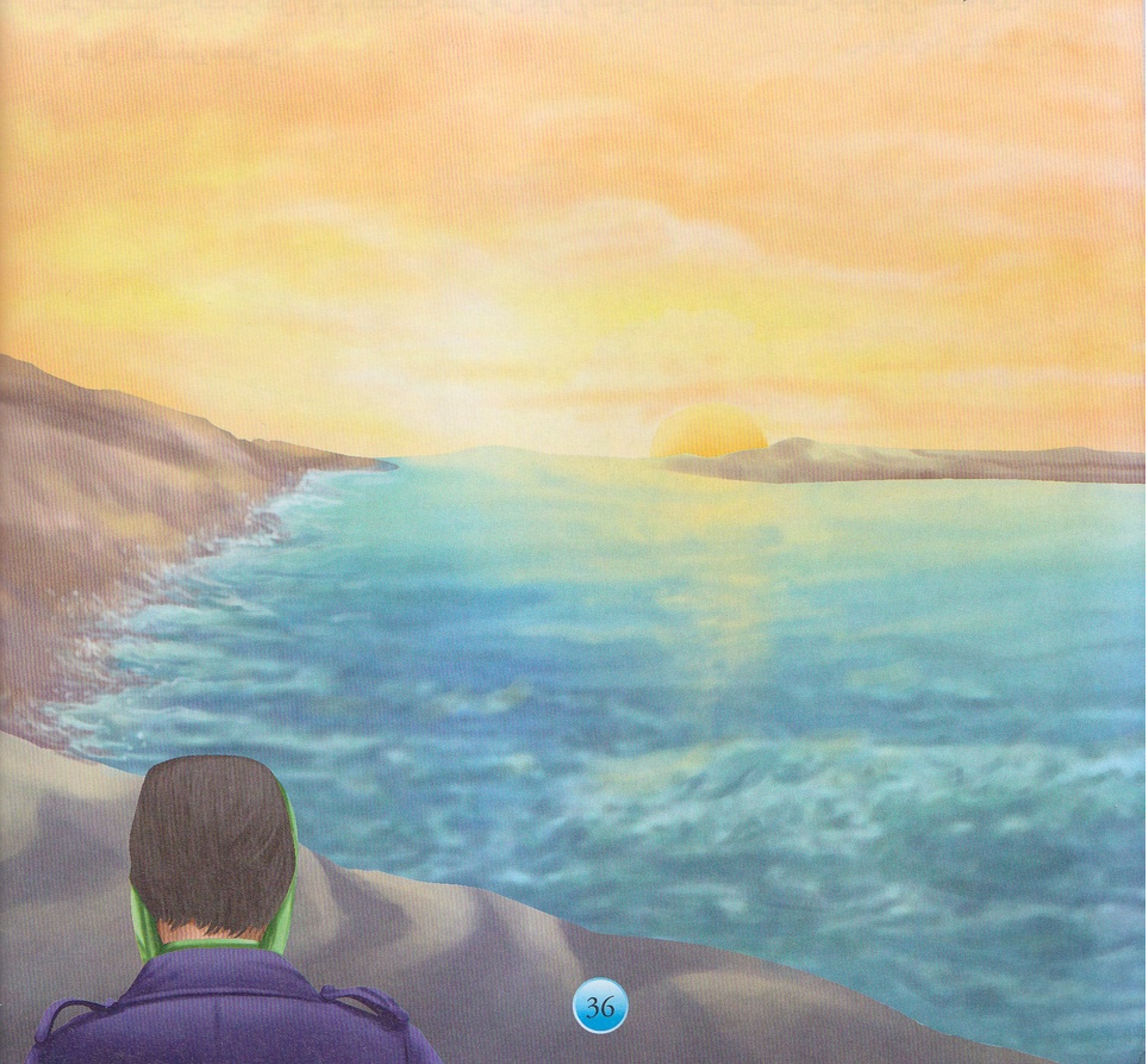
القُطْبُ الجَنوبيّ

هُرِعْتُ إلى المِنَصَّة. فرأيتُ البَحْرَ مَعَ الجِبالِ الجَليديَّةِ العائِمَة والمُتَناثِرَة هنا وهناك. كانَت السَّماءُ صاخِبَةً بالعَديدِ من الطّيورِ التي كانَتْ تُطلِقُ صَرَخاتٍ حادَّة، وكانَ البحرُ يَزْخَرُ بعددٍ لا يُحْصى من الأسماك.

«هل نحنُ في القُطْب؟» سألْتُ القُبْطانَ، بحَماس.

«سوفَ أُحدِّدُ ظُهْرًا مكانَنا، لأعرفَ على وَجْهِ اليقين،» أجابَني قائلاً، ثم أسْهَبَ شارِحًا: «إذا انْقَسَمَتِ الشَّمْسُ في الظَّهيرة، إلى نِصْفَيْن في الأُفُقِ الشّمالي، نَكونُ في القُطْبِ الجَنوبيّ.»

ما فَتِئَتْ نوتيلوس تَشُقُّ طريقَها إلى الأمامِ حتّى بَلَغْنا أَطْرافَ الشّاطِئِ الذي امْتَدّ على أرْضٍ بَيْضاءَ واسِعَة.



أُنزلَ القاربُ وقُمْتُ أنا والقُبْطان وكونسيل بالصُّعود إليه، وقامَ اثنانِ من أفرادِ الطَّاقَم بالتَجديفِ نحوَ الشّاطِئ الذي كان يَعُجُّ بالفُقْماتِ وطُيورِ البَطْريقِ وحيواناتِ الفَظّ.
أَرْشَدَنا القُبْطانُ نيمو نحو قِمَّةٍ صَغيرة. وعِندما وَصَلْنا إليها، أخرجَ تلسْكوبًا ونظرَ نحو الأُفقِ الشَّمالي. كانَ الوقْتُ قد دنا من الظَّهيرَة. أمسَكْتُ بالكْرونومتر في يدي بينمَا كانَ القُبْطان يَرْنو إلى الشَّمس.
«إنها الثانيةَ عَشَر»! هتفْتُ له.
«نحنُ في القُطْبِ الجَنوبيّ!» أجابَ القُبْطان نيمو. إذ انْقَسَمتِ الشَّمسُ إلى نِصْفين في الأُفُق.
ثم قال: «لقد وَصَلتُ، أنا القُبْطان نيمو، في الواحِدِ والعشرين من آذار/مارس 1868، إلى القُطْبِ الجَنوبيّ. وأنا أَسْتَوْلي على هذا الجُزْء من العالَم».
وعندما قال ذلك، نَشَرَ عَلَمًا أسودَ مُقَسّمًا إلى أربعِ مُربّعاتٍ يتوسَّطُ كُلّاً مِنها حرفُ N ذَهَبيُّ اللَّوْن.



الحاجَةُ إلى الهَواء

في اليومِ التّالي، الواقعِ فيه الثّاني عشر من آذار/مارس، انطلقَتْ نوتيلوس لِسَبْرِ غَوْرِ المُحيط، وغاصَتْ في اتّجاهِ الشَّمال، على عُمقِ ألفِ قَدَم أَسْفَلَ جَبَلٍ مِنَ الجليدِ هائلَ الحَجْم.

وفي الثالثَةِ فَجْرًا، استيقظْتُ على صوتِ اصْطدامٍ عنيف. نَهضْتُ وَجَلسْتُ في السَّرير تحتَ وَطْأَةِ الصَّدْمة. ثمّ رُحْتُ أتحسَّسُ الطَّريقَ على طولِ المَمَرِّ المُظْلِم، ودَلَفْتُ إلى الصّالون المُضاء.

كانت نوتيلوس مُلقاةً على جانِبِها الأيْمن، في جمودٍ تام. بعد زُهاءِ دقيقَة، انضَمَّ كلٌّ من نيد وكونسيل إليَّ، وقد أخذَ منهما الذُّعْرُ كلَّ مأْخَذ.

وإذا بالقُبْطان نيمو يدخُلُ عَلَينا.

«ما الذي حَدَث، أيها القبطان؟»

فأجابَنا قائلاً: «لقد انقلبَ جَبَلٌ ضَخْمٌ من الجَليد ظَهْرًا لِبَطْن، وارتفعَتْ قاعِدَتُه، فحوصِرْنا بينها وبين الجانِبِ السفلي على سَطْحِها. إنَّ جبلَ الجليد يَرْتقي صُعودًا معنا كُلَّما أفرَغْنا الخزّانات. نحن عالِقونَ في نَفَقٍ، أيُّها الأستاذ».

وفجأةً، شَعَرنا بنوتيلوس تستقيمُ ورأينا جِدارًا مُبْهِرًا من الثلجِ يرتفِعُ على كلِّ جانِبٍ من جوانِبِها. كان من السَّهلِ الخروجُ من هذا النَّفَق عن طريقِ المُضِيّ قُدُمًا أو التراجُعِ إلى الخَلْف.

وبعد عَشْرِ دقائق، شَعَرنا بنوتيلوس تعودُ إلى الوراء.

وبعد مرور ساعَتَيْن، اصْطَدمَتْ من جديدٍ بكُتْلَةٍ من الجَليد، إذ كان تَحرُّكُ جَبَلِ الجليدِ مرَّةً أخرى مغلِقًا أمامَنا كلَّ منفَذٍ مُمْكِن.

«سوف نقومُ الآن بتحطيمِ جُدْرانِ الجَليد بأنفسِنا»، قال القُبْطان نيمو، شارِحًا لنا أنّ الخزّانات قد مُلِئت بالمياهِ كي تُبْقي نوتيلوس داخِلَ النَّفق.

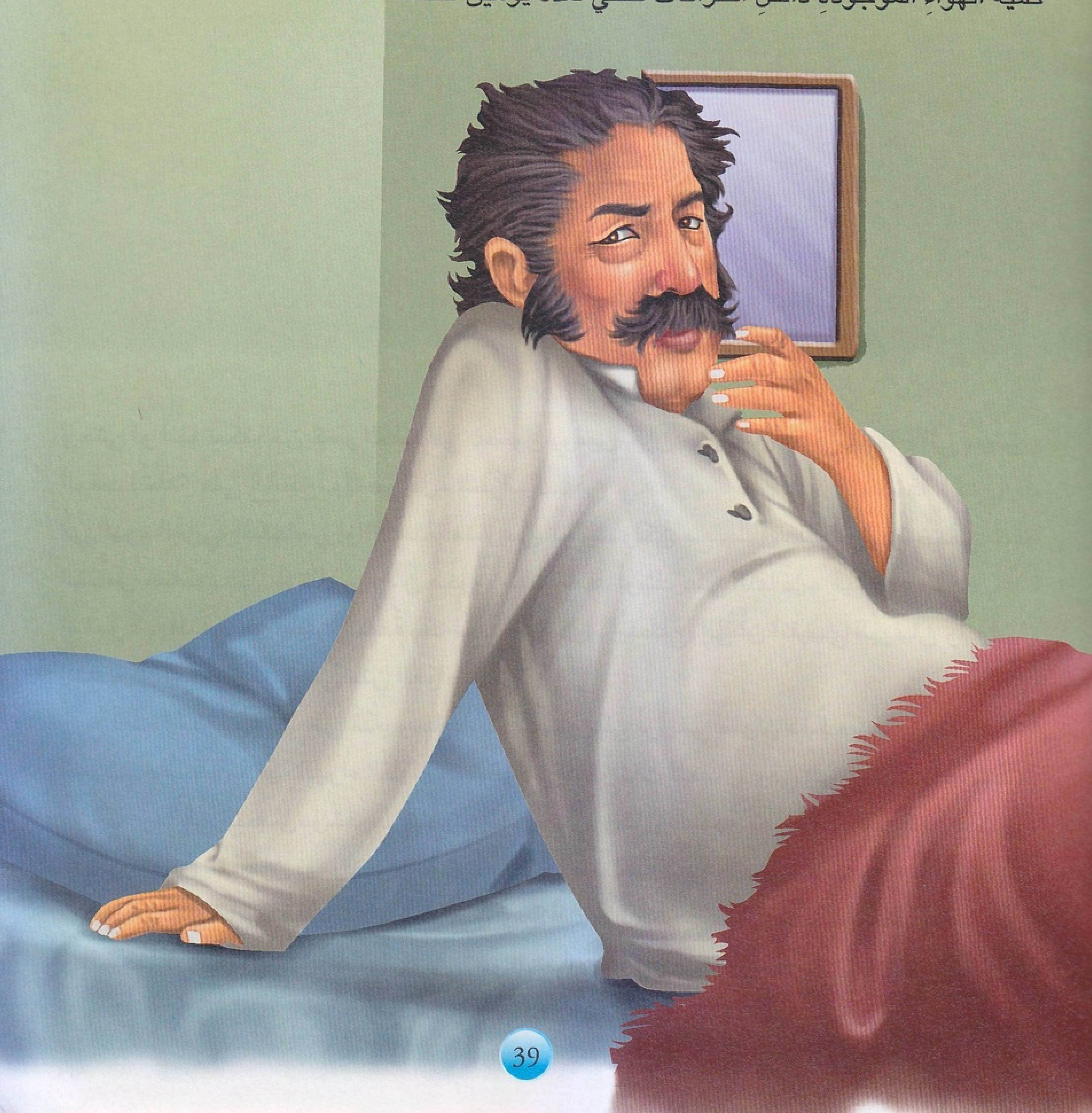
ثم خرجَ القُبْطان نيمو برفْقَةِ نيد والبعض من أفرادِ

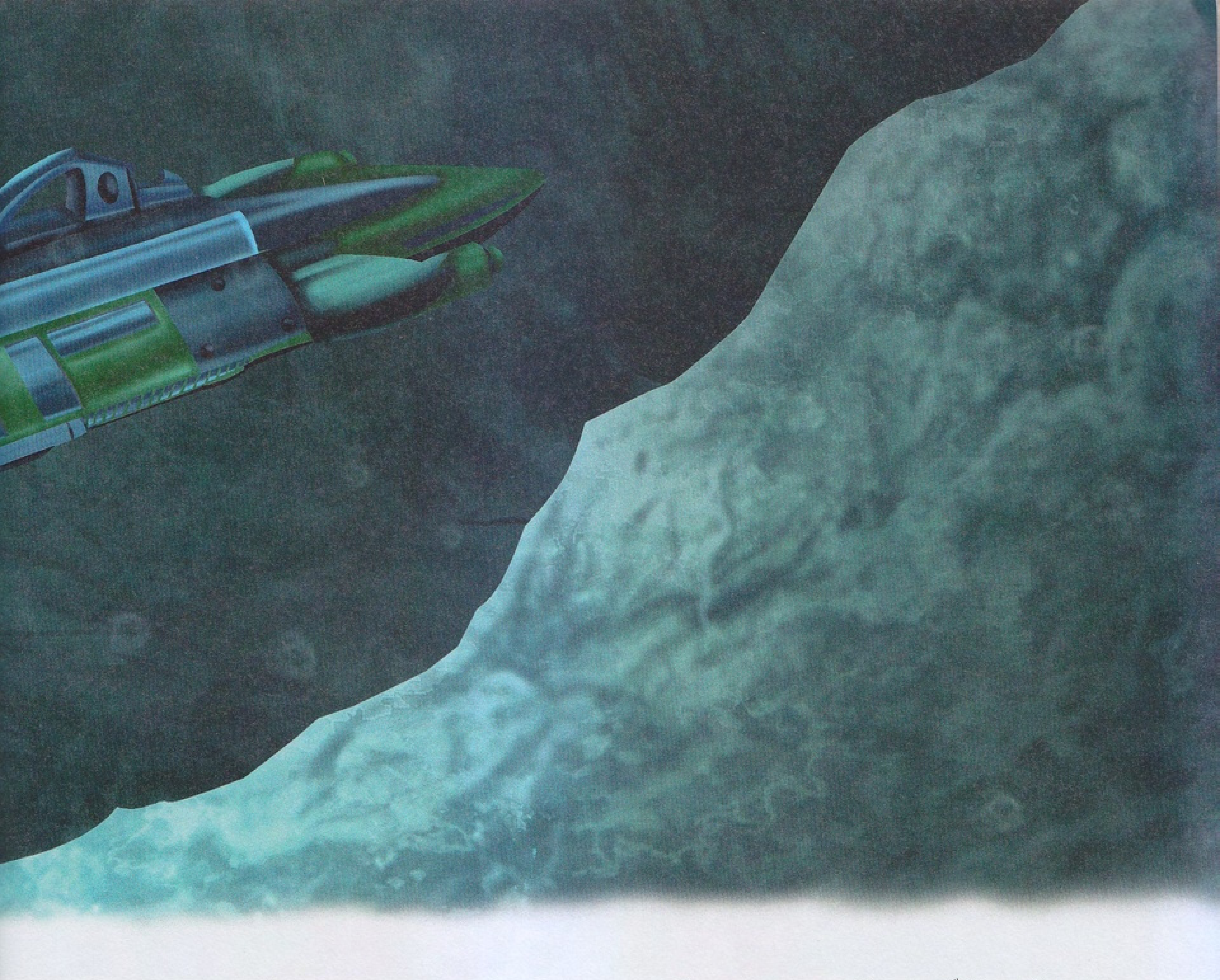
الطَّاقم إلى المياهِ لتقطيعِ الجليد بواسِطَةِ الفؤوس.

دأبَ الجميعُ على العَمَل من دونِ إضاعَةٍ للوَقْت، وثابروا على حَفرِ خَنْدقٍ كبيرٍ على بُعْد ثماني ياردات من جانبِ نوتيلوس الأيسَر. وبعد ساعَتَيْن من الوَقْت، عاد نيد أدراجَهُ خائرَ القوى.

وكان في كلِّ مرَّةٍ يجري استبدالُ عُمّالٍ بآخرين، إلى أن أتى دوري ودور كونسيل.

في طريقِ عودتِنا، لَمَسْتُ فَرْقًا ملحوظًا بين الأُكسجين داخل نوتيلوس والجهاز الذي أُعْطي لنا أثناءَ العمل. ثمّ تبيّنَ لي أنّه لم يتمّ تجديدُ الهواءِ داخِلَ نوتيلوس على مدى ثمانيةٍ وأربعينَ ساعة! وما كان مَدْعاةَ قَلَقٍ كبير أنّ ثلاثةَ أقدام فقط من الجليدِ قد تمّت إزالَتُها في غضونِ اثنتي عَشْرة ساعة! أي أنّ عمليّةَ إزالةِ الجليدِ بالكامل سوفَ تَسْتغرقُ أربعةَ أيام، في حين أن كميّةَ الهواءِ الموجودَةِ داخلِ الخزّانات تَكْفي لمدَّة يومين فقط!





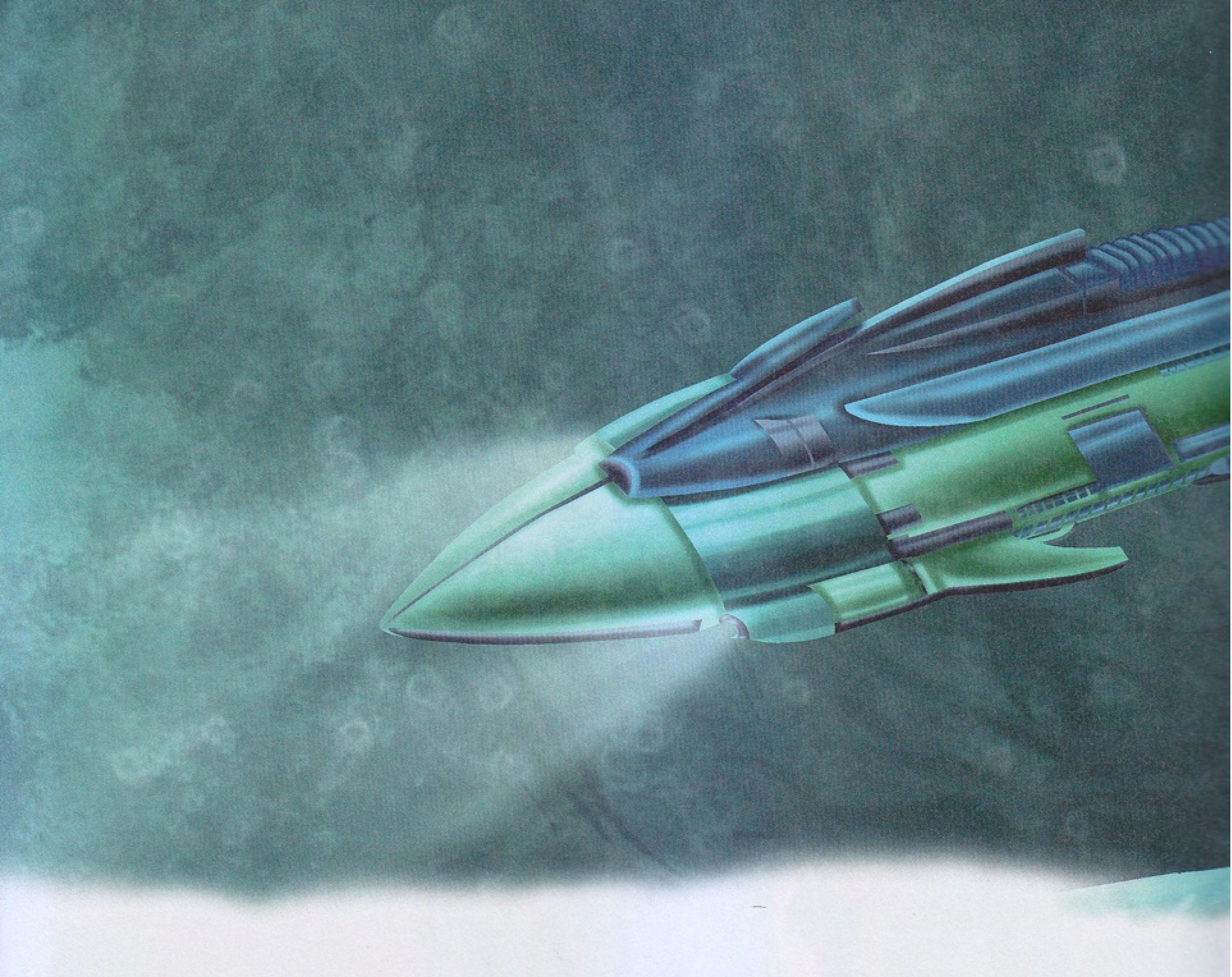
وحتى لو أننا تَمَكّنا من كَسْرِ الجليد في غُضونِ يومين، فإنّ نوتيلوس سوفَ تحتاجُ إلى بعضِ الوَقْتِ لتَطْفوَ على السَّطْح، ولتعيدَ ملءَ الخزّانات.

في اليومِ التالي، تمكّنا من إزالَةِ ستة أمتارٍ من الجليد. ولكن مع حلولِ ذلك الوقت، أَضْحى التنفُّسُ صَعبًا داخل نوتيلوس، لأنّ مخزونَ الهواءِ قد أوشك على النفاد!

استمرَّتْ عمليةُ إزالَةِ الجليد ساعةً بعد ساعَةٍ من دونِ انْقِطاع، إلى أن انقَضى اليومانِ وأَنْهَكَ التعبُ كلَّ شخصٍ كان على مَتْنِ الغوّاصَة.

ومع ذلك، استمرَّ العملُ على قَدَمٍ وساق وبجُهْدٍ كبيرٍ إلى أن بقي مترانِ فَقَطْ من الجَليد. ولهذا السبب، خُصِّصَتْ كميةُ الهواءِ القَليلةِ المتبقيةُ في الخزّانات للعمال. وفي اليوم التّالي، عانَيْتُ من صعوبةٍ في التنفُّس، وشَعَرْتُ بالدُّوارِ يلُفُّ رأسي. وكان الجميعُ يُعاني من الأَعْراضِ نفسِها.

وأخيرًا، تمكَّنَ القُبْطان نيمو من إزالَةِ طَبقة الجليدِ المتبقيَة، عن طريقِ سَحْقِها بواسِطَةِ نوتيلوس التي قام بِدَفْعِها بحذَرٍ عَبْر الخَنْدق. كانت تلكَ آخرُ فُرصَةٍ لنا. وما إن تحرَّرْنا وأصْبَحنا في المياه، انطَلَقت نوتيلوس نحوَ الشَّمال بسُرْعَةٍ مُرعِبة. تَضَرّعنا إلى السّموات



وصلّينا أن لا يكون النفقُ طويلاً جدًّا وإلاّ قُضِيَ علينا.

طَوال هذه الفترة، ظلّ نيد وكونسيل معي. وبعد بُرْهَةٍ، شعرتُ بالسفينةِ تندفِعُ نحو الأَعْلى. ثمّ انقضَّتْ نوتيلوس على حقلِ الجليدِ كوَعْلٍ مَعْدِنيٍّ وصَدَمَتْه بواسِطَةِ مِرْوَحَتِها الجبّارة، فتصدَّعَ قليلاً. فانقضَّتْ عليهِ مرَّةً أخرى.

ولكن بعد محاولَةٍ أخيرة، تمكّنّا من كَسْرِ الجليدِ واختراقِه، ثمّ فتحنا الطّاقَة وتدفَّقَ الهواءُ النَّقيُّ إلى الدّاخل.

لا أذكرُ كيف وصَلْتُ إلى المِنَصَّة. لعلّ نيد قد حَمَلني إلى هناك. ولكننا تمكّنا أخيرًا من اسْتِنْشاقِ الهَواءِ النَّقي.

شكرتُ نيد وكونسيل على تَشْجيعهما ومُؤازَرَتي. ولكن كلّ امتنانِ العالم لا يمكِنُ أن يَفيهما ولاءَهُما.

توجَّهْنا نحو الشّمال. وفي التاسع من نيسان/أبريل، رأينا أمريكا الجَنوبيَّة، بيد أنّ الغَوّاصَة لم تقترِبْ قيدَ شَعْرَةٍ من السَّاحِلِ الأمريكيّ.

إبّانَ تلك الحادِثَة، أضْحَيْتُ أنا أيضًا راغبًا في استعادَةِ حرِّيتي. كان قد مَضَى سبعَةُ أشْهُرٍ على وجودِنا على مَتْنِ نوتيلوس. قرّرتُ أن أفاتِحَ القُبْطان بمَوْضوعِ حرّيتنا.
فوجَدْتُه منكبًّا على الكتابَةِ فوق طاولَتِه.
«أريدُ التحدُّثَ إليكَ في مسأَلَةٍ مهمَّة، أيُّها القُبْطان،» قلتُ له.
«أنا مَشْغولٌ الآن، يا سيدي»، أجابَني بعد أن رَماني بنَظْرَةٍ بارِدَة.
من ثمَّ، أراني مَخْطُوطة، وقال: «سيد أروناكس، لقد كتبتُ هذه المَخْطوطة بالعَديدِ من اللُّغات. وهي تَحْتوي على مجموع الدِّراساتِ التي أنْجَزْتُها في عُرْضِ البَحر. إن هذه المخطوطة التي



تَحمِلُ توقيعي وتُسَطِّرُ قِصَّةَ حياتي، سوفَ تُحْفَظُ في صندوقٍ غوّاص. وإن آخرَ النّاجين على متن نوتيلوس سوفَ يَرْمي هذا الصُّندوق في البحر، وسوف يذهبُ حيث سَتَسْحَبُه الأَمْواج.»

«أيّها القبطان»، قلت له، «ألا يمْكِنُ لك أو لأحد من» –

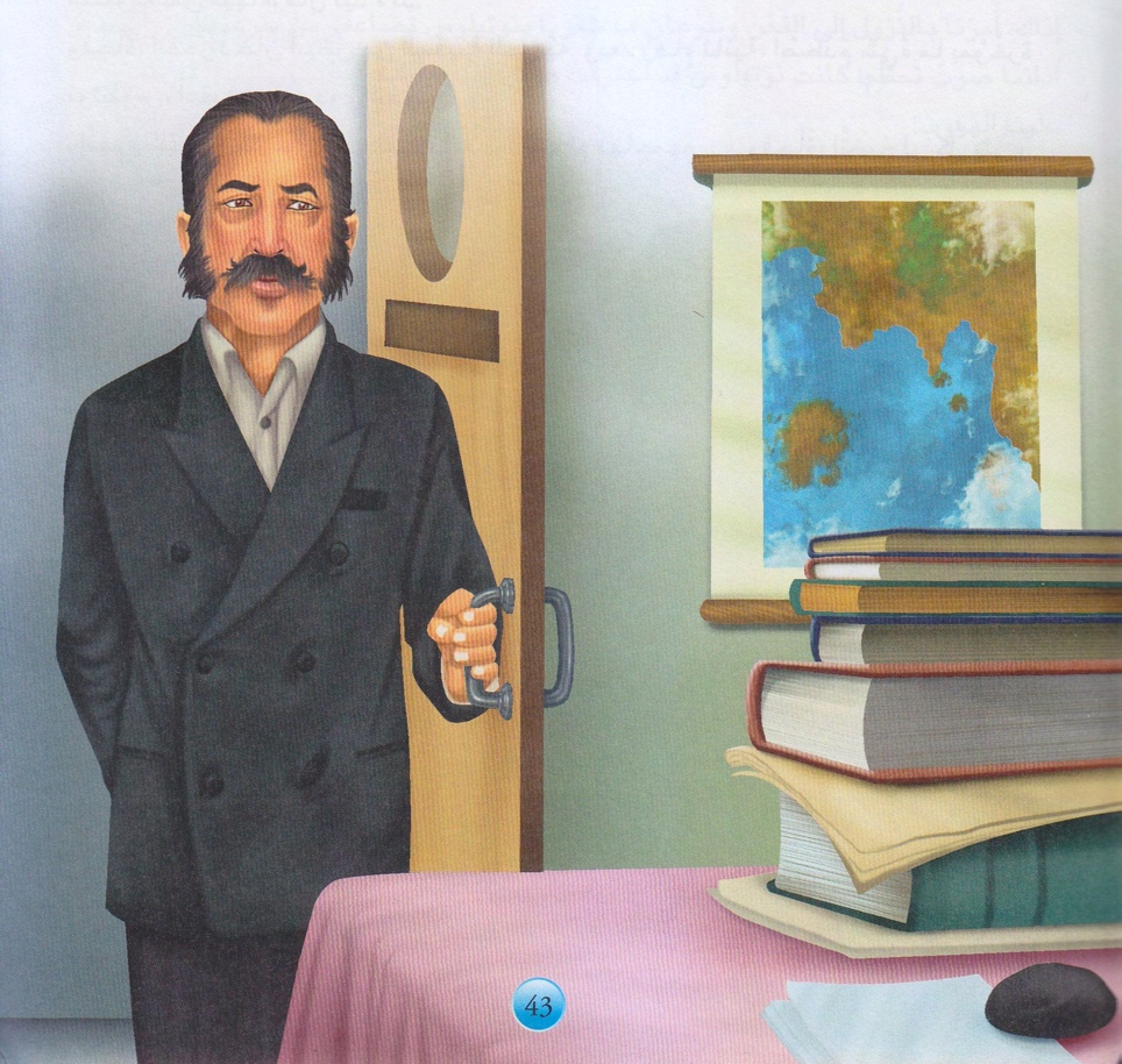
«لا، يا سيّدي!» قال على عَجَل.

«ولكن يمكِنُني أنا وأصحابي أن نوصِلَها لك إن أَطْلَقْتَ سَراحنا.»

«إن أطلَقْتُ سَراحكم»؟ صاحَ وهو يَنْهَضُ من مكانِه.

«نعم، يا سيدي،» أَجَبْتُه. «لقد مضى سبعةُ أشهرٍ منذ وجودِنا على مَتْنِ نوتيلوس، لَكِنّنا نُريدُ استعادَةَ حُرِّيتنا الآن».

ولكنَّ رفضَهُ جاءَ قاطِعًا! وأصبحَ وضعُنا حرجًا. «يجب علينا الفِرار»، قال نيد. «إن نوتيلوس تقترِبُ من لونغ آيلاند»، بيد أنّ إعصارًا ضَرَبَ نيويورك، قد قَضَى على كلِّ أملٍ لنا بالهُروب.



المَذْبَحة

كانَتْ نوتيلوس تُسافِرُ الآن في المياهِ الإقليميةِ الأوروبيَّة. وذاتَ يوم، أصْبَحنا على بُعْدِ مئةٍ وعشرينَ ميلاً من إيرلندا. هل كان القبطان نيمو سيرسو على الجُزُر البريطانيَّة؟ كلا.

في الأوَّلِ من حزيران/يونيو، سمعتُ هَديرًا قادِمًا من بعيد، فصَعِدْتُ إلى المِنَصَّة مع نيد وكونسيل.

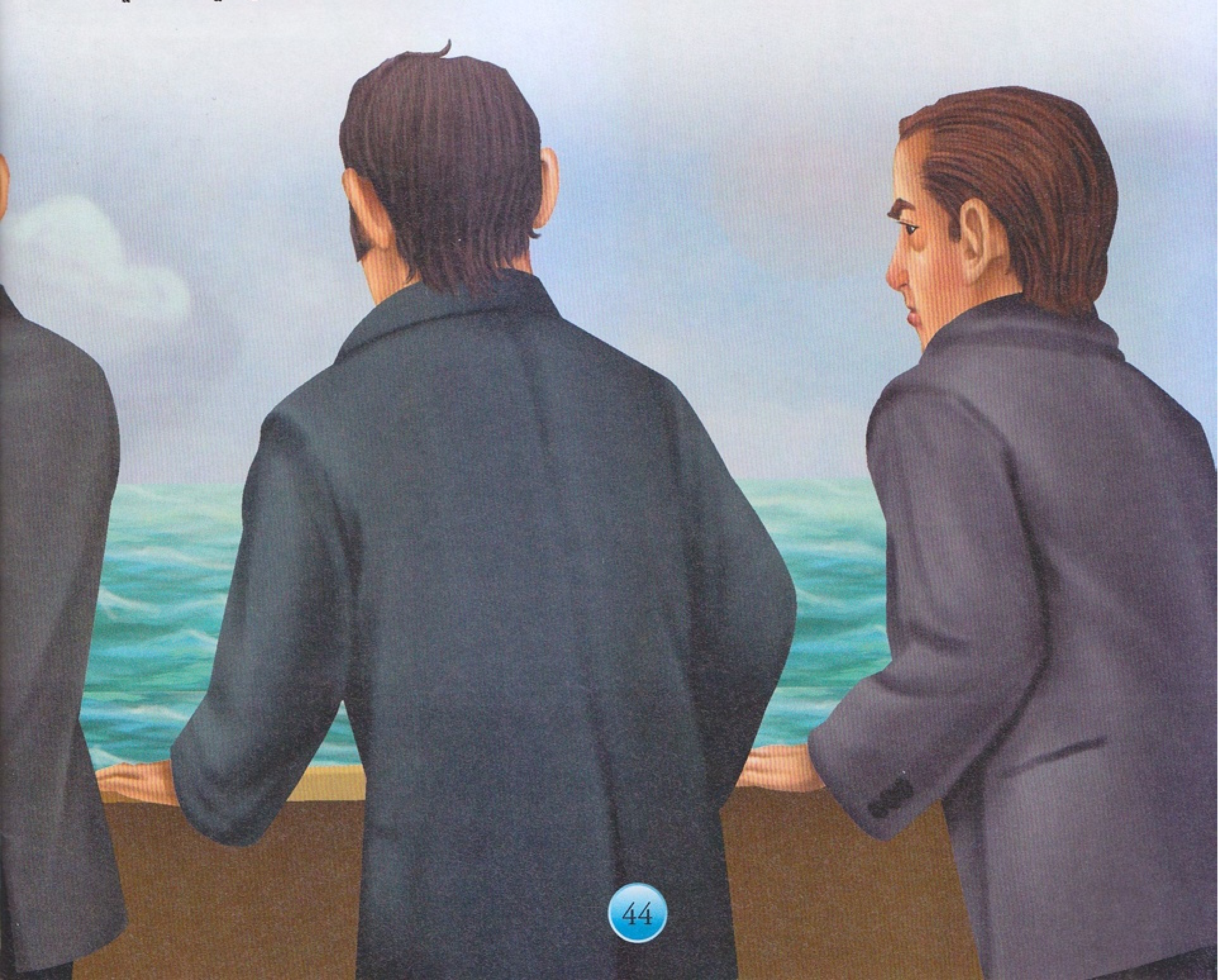
«إنها طَلَقاتٌ نارية»، صاحَ نيد لاند.

إذاك، رأينا سفينةً تَلوحُ على بعد ستّةِ أميالٍ منا.

«أنا واثِقٌ من أنّها سفينةٌ حربية. فلنرجو الله أن تَصِلَ إلينا، وإن لزِمَ الأمْر، أن تُغْرِقَ نوتيلوس المَلْعونة بِمَنْ فيها»، قال نيد لاند.

وفجأةً، انفجر دُخانٌ أبيضُ من السفينةِ الحربيَّة. وبعد زُهاءِ ثانِيَة، اصْطَدَمَ شيءٌ ما بمؤخّرَةِ نوتيلوس، أعقَبَهُ صوتُ دويّ انفِجار.

«إنّهم يطلِقونَ النار علينا»! هتفْتُ قائِلاً. «لكننا لم نهاجمهم ...». وفجأةً، اتَّضَحَ لي كلُّ شيء.



لا بدّ أن القائدَ فرّاغوتْ قد أيقنَ بأنّ الكائنَ الذي خالَهُ البعضُ حوتًا مرقّطًا هو مجرّدُ غوّاصة، سيما بعد أنِ ارتدّتْ عن هيكلِهِ حَرْبَةُ نيد. وأنّ السُّفُنَ الحربيَّة تسعى الآن وراءَ محرِّكِ الدّمار هذا في البحار. وأنا أُقِرُّ أخيرًا الآن بأنّ القبطان نيمو كان يهاجِمُ السُّفُنَ في العالم، بغضِّ النَّظر عن انتمائِها الوطني، سعيًا للثأر. وفهِمْتُ أيضًا بأنّ القبطان نيمو كان وَسْط هجوم قد شنَّهُ على إحدى السُّفُنِ في المحيطِ الهنديّ عندما أوصَدَ علينا الأبواب. كان جزءٌ من حياةِ القُبْطان الغامِضَة نيمو قد انْجَلى. ولكنَّ الكثيرَ منها بقيَ في الخَفاء.

رفع نيد لاند يدَه وراحَ يلوّحُ بمنديلٍ أبيضَ للسُّفُنِ الحربيَّةِ كإشارة لها إلى أننا أبرياء على متن السفينة، ولكن سَرعان ما التقَطَ القُبْطان نيمو يَدَه.

ثم، انْبَرَى نحوَ السَّفينةِ الحربيَّة، وصاحَ قائلاً: «أيتها السَّفينة التابِعَة لدولة اللَّعنات، أنتم تَعْرِفون من أنا! وقد حانَ الوَقْتُ الآن لأُظْهِرَ لكُم حَقيقتي».

إذاك، أَمَرنا بالنُّزول إلى القَعْر. وسَرعانَ ما شَعَرنا بنوتيلوس تُضاعِفُ من سرعَتِها إلى أنْ صَمَّ آذاننا صوتُ تَحَطُّم! كانت نوتيلوس قد اخترقَتْ هيكلَ السَّفينةِ الحربيَّة! كان الكيلُ قد طَفَحَ. علينا الهروب!



الهروب

لقد أَفْجَعَني هذا الحادِث.

لم أرَ القُبْطان نيمو ولا أحدًا من أفرادِ طاقمِه خلالَ الأيام القليلةِ التالية. في صباحِ أحدِ الأيام، استيقَظْتُ مُرْتعِبًا لأجِدَ نيد لاند مُنْحنيًا فوقي. «سوفَ نلوذُ بالفِرار،» هَمَسَ قائِلاً. «غدًا ليلاً. هل ستكونُ جاهزًا، يا سيدي؟»

«نعم، أينَ نَحْنُ؟»

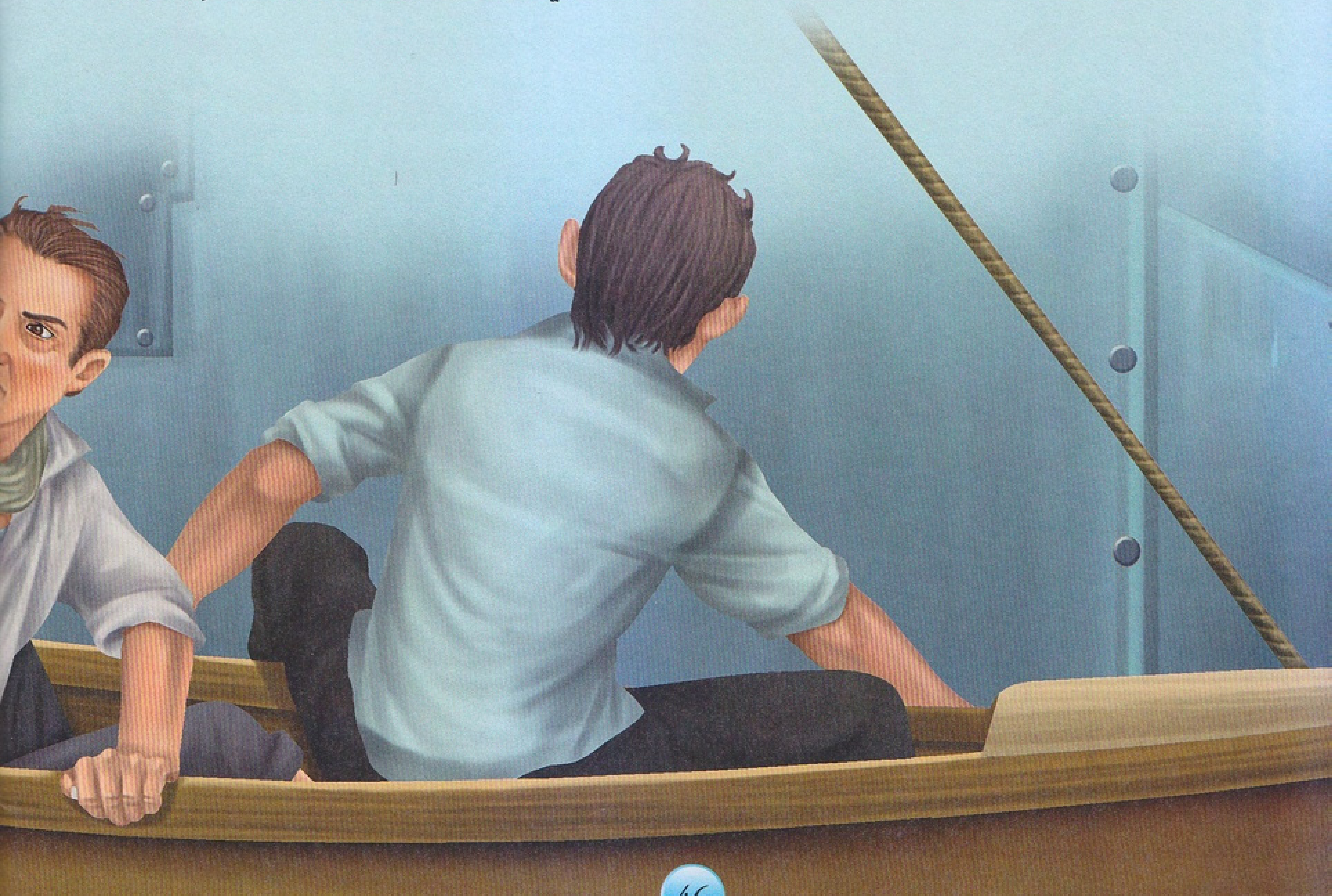
«اليومَ، رأيتُ اليابِسَةَ على بُعْدِ عشرينَ ميلاً شرقًا»، أجابَ نيد.

«سوفَ أذْهَبُ مَعَك».

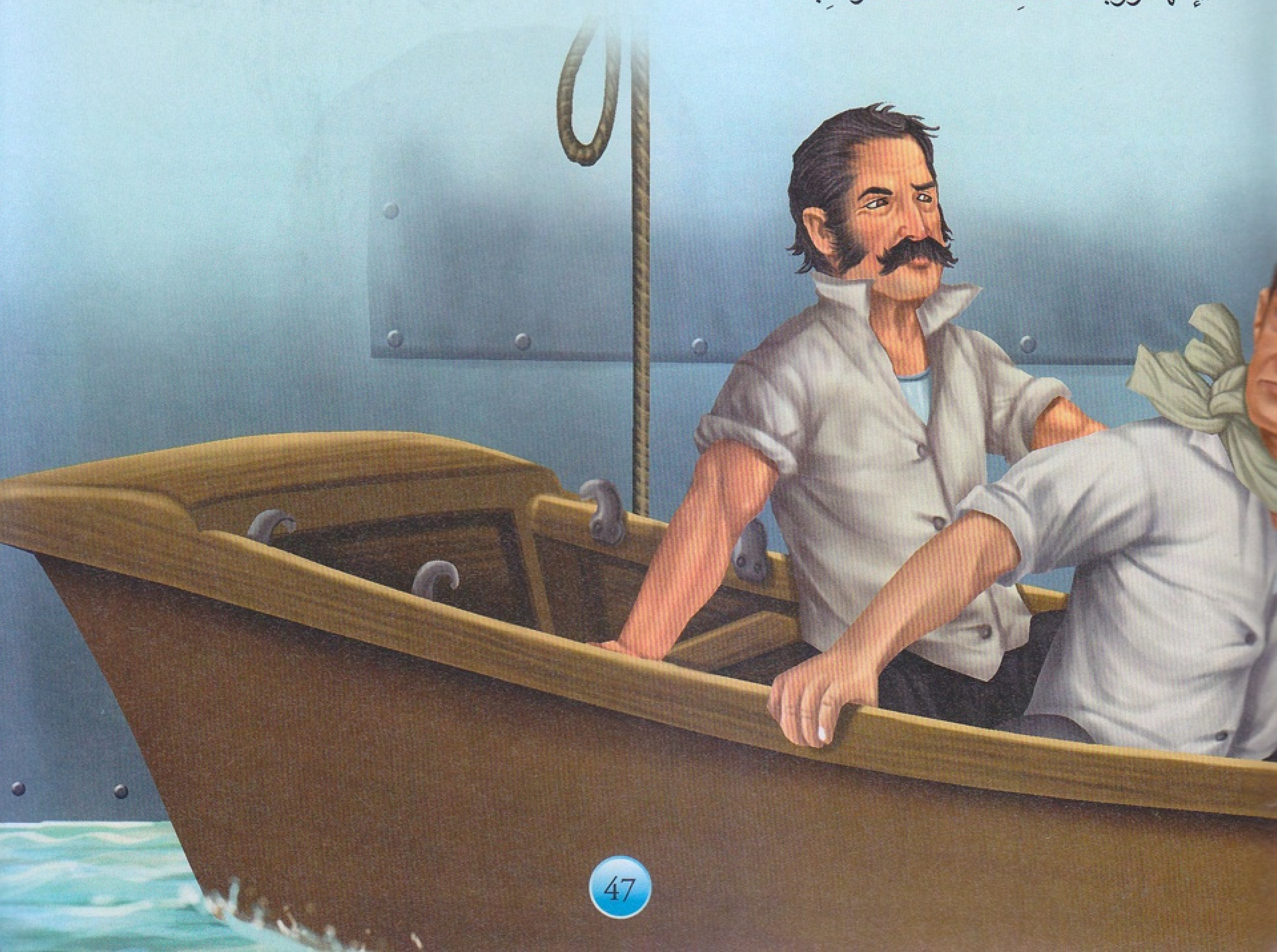
لم أستطِعْ إخفاءَ الرُّعْبِ التِّلْقائي الذي دَبَّ في قَلْبي عندَما عَلِمْتُ بإجراءاتِ القُبْطان نيمو حِيالَ ذلك. ولكن، كان آخِرُ يومٍ لي على مَتْنِ نوتيلوس هو الأَطْوَل.

ألقيتُ نظرةً أخيرةً على المَجموعَةِ الفريدَةِ داخِلَ مُتْحَفِ القُبْطان نيمو، التي كان مَكْتوبًا لها الفَناء معه. في وقتٍ لاحِق، اسْتَلْقَيْتُ على فِراشي، وأنا أُقلِّبُ في رأسي مرّةً أخرى، صُوَر العَجائِبِ التي رأيتُها على مَتْنِ نوتيلوس.

كانتِ السَّاعَةُ التاسِعَةَ والنِّصف. وفَجْأة، داعَبَتْ مَسامعي نَغَماتٌ تثيرُ الشُّجون، تنسَكِبُ من



بيانو بعيد يؤدّي مَعْزوفَةً جميلَة. أَرْهَفَتُ إليها سَمْعًا، وأُطْرِبْتُ بها مَسْحورًا.
ثم خَفَقَ قلبي من شِدّةِ الهَلَع لمّا تذكّرْتُ بأنَّ القُبْطان نيمو كان في قاعَةِ الصّالون التي عليّ عُبورها للوصولِ الى المِنَصَّة. ومع ذلك، عَقَدْتُ العَزْمَ على المُضِيّ قُدُمًا.
ثمّ فتحْتُ بابَ الصّالون برِفْق، فَوَجَدْتُ الصّالَةَ غارِقةً في ظَلام دامِس. استمرّتِ النَّغماتُ تتردّدُ بسَلاسَة. فأدرَكْتُ أن القُبْطان نيمو لم يَرَني. قارَبْتُ الخُطى وعَبَرْتُ الغُرْفَةَ بحَذَرٍ كبير، ثمّ بلَغْتُ البابَ الذي كان يُفْضي الى المَكْتَبة.
ولمّا كنتُ على وَشْكِ فَتْحِه، غَمْغَمَ القُبْطان نيمو منتَحِبًا: «يا الله! كفى! كفى!»
أكان ذلك اعترافًا بأَفْعالِه؟ لستُ أدري. هُرِعْتُ خارجًا، وارتَقَيْتُ الدَّرَج المركزيَّ، ثمّ وَصَلْتُ إلى المِنَصَّةِ حيثُ كان كلٌّ من نيد لاند وكونسيل بانتِظاري.
«دَعُونا نذهب!» هَتَفْتُ قائلاً.
وَثَبْنا داخِلَ القارِب وسَحَبْنا البوّابات خَلْفنا. ثمّ بدأ نيد على الفورِ يَفُكُّ البراغيَ التي كانَتْ تربطنا إلى نوتيلوس. وفجأةً طَرَقَتْ مسامِعَنا مجموعَةُ أصواتٍ عالِيَة.
هل اكتشفوا أمرَ فِرارنا؟ إذاك، دسَّ نيد خِنجرًا في يدي. ثم رنّ صَوْتٌ في آذانِنا، تردَّدَتْ أصداؤه مرارًا وتكرارًا! لا! لا! لا!...
«إنها زوبعَةٌ هائِلَة!» هتفتُ مرتعِبًا.



كانت تلك الزَّوْبَعَة، قُبالَةَ ساحِلِ النّرويج، أخطرَ الزَّوابع في العالَمِ أَجْمع! إذ لم تتمكّن أيُّ سفينةٍ على الإطْلاقِ من الصُّمودِ في وَجْهِ تيارِها الهائج! هل كانت نوتيلوس، التي وَقَعَتْ في شِباكِ الزَّوْبَعَة على غَفْلَةٍ، توشِكُ على الانجرارِ الى أعماقِ المُحيط؟

لم يكن لديَّ وَقْتٌ للتفكيرِ لأن نوتيلوس بدأَتْ تغزِلُ وتغزِلُ في حلَقاتٍ تزدادُ صِغرًا. لقد بَلَغَ الذُّعْرُ منّا كلّ مَبْلَغ! ثمّ دوّى صوتٌ قويّ، فانسلَخَ القارِبُ عن نوتيلوس. ولكني ارْتَطَمْتُ بشيءٍ صُلْبٍ وفَقَدْتُ وَعْيي.

عندما اسْتَعَدْتُ وَعيي، وجَدْتُ نفسي داخِلَ كوخٍ لصيّاد، على جزيرةٍ قُبالَةَ سواحِلِ النَّرويج. وكان نيد وكونسيل، يجلِسان بالقُرْبِ منّي سالمين.

كانت رِحْلَتُنا التي استغرَقَتْ ستينَ ألْفَ ميلٍ أو عشرينَ ألفَ فرسخٍ تحتَ البَحْرِ قد وصلت إلى خَوَاتيمِها.

لكن ما الذي حَدَث لنوتيلوس؟ هل نَجَتْ من الزَّوْبَعة؟ هل لا يزالُ القُبْطان نيمو على قَيْدِ الحَياة؟ هل ستحمِلُ أمواجُ البحرِ يومًا مَخْطوطاتِهِ وتَضَعُها في يدِ الإنسان؟ أنا فعلاً أدعو الله أن تكون نوتيلوس قد نَجَتْ. وأتمنّى، إنْ كانَتْ قد أفلَتتْ من قبضَةِ الطَّبيعَةِ الغاضِبَة أنْ يكونَ القُبْطانُ نيمو لا يزال يجوبُ عُرْضَ البِحار، وأن تُغربَ الكراهِيَةُ عن قَلْبِه! وأن تُخْمِدَ عجائِبُ البحرِ روحَ الثَّأْرِ المتأجِّجَةِ في كِيانِه!





عشرون ألف فرسخ تحت الماء

... وفي الثالثةِ فَجرًا، استيقظْتُ على صوتِ اصْطدامٍ عَنيف. نَهضْتُ وَجلسْتُ في السَّرير تحتَ وَطْأةِ الصَّدمة. ثمّ رُحْتُ أتحسَّسُ الطَّريقَ على طولِ الممَرِّ المُظْلِمِ، ودَلَفْتُ إلى الصّالون المُضاء. كانت نوتيلوس مُلقاةً على جانِبِها الأيْمن، في جمودٍ تام. بعد زُهاءِ دقيقَة، انضمَّ كلٌّ من نيد وكونسيل إليَّ، وقد أخَذَ منهما الذُّعْرُ كلَّ مأْخَذ ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة إلى باطن الأرض
- عائِلَةُ روبنسون السويسريَّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أطْفالُ سِكَّةِ الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الغابة
- أحدب نوتردام
- أوليفر تويست



تم تصنيف هذه القصّة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنّف مستوى «ص» ـ «متّقن أدنى»

ISBN: 978-9953-37-911-1



